الدكتور. داود رياض أرسانيوس
دكتوراة الفلسفة من فولر

"مَنْ هو المسيح؟"

"مَنْ هو المسيح؟"

د. داود رياض أرسانيوس
أستاذ لاهوت الدفاع عن الإيمان
دكتوراة الفلسفة من فولر

الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة
7 ش الشيخ ريحان – جاردن سيتى

فهرس الكتاب

تقديم

شخصية المسيح من أكثر الشخصيات التي دار حولها جدل عنيف لم تنطفئ جذوته على مدار ما يقرب من ألفى عام، فقد كانت ولادته محل أسئلة وجدال، وكانت حياته مثار تعليق ونقاش، ثم أصبح موته تحوُّلا في مسار البشرية الفكري والاعتقادي، وبسببه قامت الدنيا ولم تقعد.

وكان من المتوقع أن تَهدأ عاصفة الحوار حول شخصية المسيح الذي فيه نرى كمال البشرية، وكمال الألوهية، بانتشار أسفار العهد الجديد، واعتبار كلمتها كلمة الفصل في الجدل القائم. غير أن طبيعة البشر التي فُطرت على الخلاف والاختلاف، أبت إلا أن تفكر ثم تنظر وتفكر، فمنها من آمن، ومنها منْ أصرَّ واستكبر. وعُقدت المجامع الكنسية وخرجت الفرمانات تحسم الموقف، وما له من حاسم! والبشرية مختلفة منقسمة ومازالت!!

وإذا كانت حياة المسيح ومعجزاته لم توجِّه الفكر البشري إلى اتجاه واحد، ولم يكن صلبه وتألمه دافعاً لهذه الوحدة، ولم تفلح كتابات تلاميذه وشهود العيان في تحقيق الخلاص للبشرية جمعاء، فنحن لا ندَّعي لهذا الكتاب، ولا نطمع لهذه الدراسة أن تحقق هذا . بل حسبنا أنه جهد نضعه أمام ربنا ومخلصناً يسوع المسيح، شهادة لنا قبل غيرنا و روح الله القدوس هو الذى يُعين الإنسان ليعرف حقيقة منْ هو المسيح (1كورنثوس 3:12)؟ نرفع صلواتنا أن يكون بركة لمن يقرأه، وأن يهدينا سواء السبيل.

أمير ريشاوي

المقدمة

ورد ذكر المسيح في ثلاث وتسعين آية قرآنية. وإلى هذه الآيات يرجع التفكير الإسلامي كلما تناول مسلم شخصية المسيح بالبحث. ومجمل الآيات التي تكلمت عن المسيح وأمه، أحدهما أو كليهما 286 آية، بالإضافة للعديد من الأحاديث، مثل الحديث المشهور عن قتادة: "وذكروا لنا أنهما (المسيح وأمه) كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيب سائر بني آدم" (الثعلبي، عرائس المجالس ص 372).

في معظم الأحيان، كان فقهاء المسلمين يلجأون إلى النصوص المسيحية لتفسير هذه الآيات. ومن يتأمل في كتاباتهم يرى أنهم تقبلوا من تلك النصوص كل ما اعتبروه موافقاً للفكر الإسلامي. ولكنهم رفضوا دوماً محاولة التوفيق بين الإنجيل والقرآن، نظراً للتباين بين مجمل العقائد والأخبار الواردة في الكتابيْن. وفى حرصهم على الاعتقاد بصحة القرآن قالوا بتحريف الإنجيل، كلما اختلف نصُّه مع القرآن. وقد تناولنا ذلك فى كتاب: "منْ يقدر على تحريف كلام الله؟" ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "عبقرية المسيح " (ص126و192): "إن الأناجيل هي العمدة الوحيدة التي اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس إلى عصر المسيح، وليس لدينا نحن بعد قرابة ألفي عام عمدة أحق منها بالاعتماد".

في دراسة للأستاذ الحداد حاول إظهار فكرة القرآن في تدرُّجها حين تَعرض العقائد المسيحية. فإن الباحث في نصوص القرآن يلاحظ أن الآيات المكّية الأولى كثيرة التعاطف مع المسيحية، إذ تفيض بالنعومة على المسيح وحوارييه والقسيسين والرهبان. ولكن في آخر عهد نبي الإسلام في المدينة أصبحت الآيات قاسية، تنكّرت للمسيحيين ورفضت ألوهية المسيح.

ويمكننا تتبع تطّور طرق الدعوة القرآنية في ثلاث مراحل:

أ – العهد الأول – في مكة: حيث يتّضح التأثير المسيحي على نبي الإسلام، وهي مرحلة تنتهي بالهجرة للحبشة، وسورة مريم خير مثال لتوضيح مدى التعاطف مع المسيحية.

ب – العهد الثاني – في مكة: حيث يقوى التأثير اليهودي، وقصص أنبياء التوراة، كما نقلها إليه بعض اليهود المغْرِضين، في هذا العهد هاجر نبي الإسلام لاجئاً إلى الطائف ثم المدينة حيث يكثر اليهود العرب.

ج – العهد الثالث – في المدينة: وهنا الانقلاب في الدعوة. فقد دخلت السياسة الدين! وأصبح الداعية رجل دين و دولة، وانقلب على الكتابيين من يهود ونصارى (وللمزيد راجع كتاب يوسف درة الحداد: "تطور طرق الدعوة").

لا ريب في أن سبب التنكر عقائدي. ففي *عقيدة الثالوث* ما يخالف الوحدانيّة (ولو ظاهرياً) التي نادى بها الإسلام وقامت دعوته عليها. ودفعاً لأي اِحتمال في هذا الموضوع، جاءت نصوص قرآنية تهاجم عقيدة الثالوث وتتهم النصارى بالِشرك في الله والغلو في دينهم، مع أن القرآن يأمر المسلمين:

"وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَينَا وَأُنزِلَ إِلَيكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ" **(عنكبوت 29: 46).**

وهناك مشكلة سببها اعتقاد المسيحيين بأن المسيح هو ابن الله. وقد شجب القرآن هذا الاعتقاد بسلسلة من الآيات، سنوردها في مكانها من هذا المبحث مع شروح الفقهاء وتعليقاتهم ولعل الاعتراض سببه الأخذ بثالوث أهل البدع من النصارى الذين كانوا منتشرين في شبه الجزيرة العربية، والذين كان ثالوثهم مؤلفاً من الله "والصاحبة مريم" وابنهما عيسى. ومع أن أحداً من المسيحيين لا يقول بهذا إطلاقاً، فإن البعض جعلوا منها مشكلة لا يتنازلون عنها بالرغم من كل الإيضاحات التي قدمها المسيحيون في كل مناسبة ولعل هذا الكتاب يكون محاولة كافية للإيضاح.

ومن لا يعرف أن المسيحيين يعبدون الله الواحد فعليه أن يسألهم، فهم أهل الذِكر **(النحل16: 43 والأنبياء 21: 7). يُجيبونه بقول المسيح: "الربُ إلهُنا ربٌّ واحد" (مرقس 12:29). وهو اقتباس من توراة موسى (تثنية 4:6). وقد أكّدت الكنيسة على مر العصور هذه الحقيقة، فقوانين الإيمان تبدأ بالقول: "بالحقيقة أؤمن (نؤمن) بإله واحد".**

وثمة مشكلة أخرى ثالثة مزمنة سببها نص قرآني في سورة الصف 6 ، يقول: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ" **(الصف61: 6).**

في حديث أخرجه أبو جعفر الطبري (عن معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد، عن الأعلى بن هلال السلمي، عن عرباض بن سارية)، قال: "سمعت رسول الله يقول: إني عند الله مكتوب لخاتم النبيين. وإن آدم لمنجدل في طينته. وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، والرؤيا التي رأت أمي. وكذلك أمهات النبيين يروين أنها رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور، أضاءت منه قصور الشام" (يتكرر نفس الحديث في ابن كثير في السيرة النبوية ج1 ص 228و229).

ويتمسّك المسلمون بحرفية هذا النص. فلما كان الإنجيل خالياً منه، ومن أي قول بأن المسيح بشَّرا بذلك، قالوا إن الإنجيل محرّف، مع أن القائل بهذا لا يستند إلى آية قرآنية، ولو واحدة، فالاختلاف كان في التفسير. وإلا فكيف يقول : "وَأَنزَلْنَا إِلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بينَ يَدَيه مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيمِناً عَلَيهِ" **(المائدة 5: 48)؟ والمهيمن بمعنى** "الشاهد على" أو "الحافظ" **لما سبقه من كتب التوراة والإنجيل. ويورد ابن كثير الآراء التي تؤكد إجماع العلماء على أن القرآن هو المسئول عن حفظها. فهل أخفق الله في أن يحفظ كلمته؟! وقال على بن أبي طلحا عن ابن عباس:** "المهيمن" **الأمين، قال:** "القرآن أمين على كل كتاب قبله" **(تفسير ابن كثير للآية جـ 2ص65)، وفى نفس القرينة يورد ابن كثير حديثاً هاماً عن امساك نبى الإسلام بنسخة من التوراة، ويؤمن عليها قائلاً: "أمنتُ بكِ وبمن أنزلك (الله)"، وهو حديث فى سبب نزول المائدة 5: 43** "وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله"**؟! وغيرها كثير، كما في** : "لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ الله" **(الأنعام6: 34 ،115)، فالله هو الذي يحفظ كلامه:** "إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لهُ لَحَافِظُونَ" **(الحجر 15: 9).**

والقرآن يصف التوراة والإنجيل بأنهما الذكر كما في (النحل16: 43، والأنبياء 21: 7 و105). والله يحفظ ما أنزله من التبديل والتحريف والزيادة والنقص (تفسير الجلالين لآية المائدة 5: 48). وكتابنا السابق "منْ يقدر على تحريف كلام الله؟" يتناول هذا الموضوع بالتفصيل.

وهناك مشكلة رابعة سببها إيمان المسيحيين بما في الإنجيل عن آلام المسيح وصلبه كحقيقة أساسية لدينهم، بينما القرآن ينفي الصلب، إذ يقول عن اليهود: "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ . وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ . وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ. مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ . وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً" **(النساء 4: 157 ، 158).**

وهناك آيات قرآنية تقول بموت المسيح، هي (مريم19: 34،33) "وَالسَّلام عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ويَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حيّاً"**، ويتكرر ذكر الوفاة في (آل عمران3: 55)** "إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلي"**، وفى (المائدة 5 : 116، 117)** "فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْت أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ"**، و(البقرة2: 87)** "فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ"**، و(آل عمران3: 183)** "فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ؟"**.والسؤال الذي يفرض نفسه : ألم يكن لدى الله وسيلة أخرى لإنقاذ المسيح سوى المكر والخداع وموت بريء عوضاً عن المسيح ؟ ولسنا نعتقد أن هذه الآية تنفي تاريخية الصليب، لكنها تتحدث عن آثار الصلب. فإن اليهود لم يحققوا غرضهم من موت المسيح، لأن الله رفعه إليه بالقيامة من الموت ثم بالصعود. وقد جاءت فكرة نفي الأثر والنتيجة (لا التاريخ والحقيقة) في (آل عمران3: 169)** "وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّه أَمْوَ اتاً بَل أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" **فالشهداء ماتوا لكن المقصود من الموت لم يحدث ، لأنهم أحياء عند ربهم. وهكذا**

نرى أن إنكار الصلب في (النساء4: 157) منُصَبّ على آثار الصلب وليس على الحقيقة التاريخية. وللمزيد راجع كتابنا "ما هي حتمية كفارة المسيح؟"

وقد رجعنا في هذه الكتب للمراجع الموّثقة كابن كثير والطبرى والرازى والجلالين والبيضاوي، وإلى الأحاديث الصحيحة كما في الصحيحين (البخاري ومسلم) والسيرة النبوية، وغيرها من مراجع موّثقة.

الفصل الأول
شخصية المسيح

في موضوع شخصية المسيح نتناول ما يلي:

أولاً: ميزات المسيح في القرآن

في البداية لابد أن نوّكد بعض الحقائق التي لا خلاف عليها، عندما نتكلم عن شخصية المسيح أو عن الثالوث أو التجسّد أو عن أي شئ يتّعلق بشخصية المسيح، وهذه الحقائق هي ما يلي:

1- الله غير محدود ونحن محدودون، فلا يمكن أن نضع اللانهائي في المحدود وهو عقولنا.

2- الله ليس كمثله شيء، كما يتضح من اسم رئيس الملائكة ميخائيل (مكون من ثلاث مقاطع معناها "ليس كمثل الله شيء") في العبرية، فهذه العقيدة تضرب جذورها قبل اليهودية.

3- ونسأل: هل يقدر الله أن يتجسّد (في كلمته)؟ وهل يرضى؟ هو حر تمام الحرية، فلنطلب منه بتواضع وانفتاح أن يقودنا ويرشدنا لنفهم، و نؤمن !

4- وصف الله وأعماله بصور إنسانية موجود منذ القديم، وهو نوع من خلع الصفات البشرية على الله (Anthropomorphism)، حتى يمكن أن نقّرب فهمه لأذهاننا، ونتناول ذلك فى فصل التجسّد.

5- الأمثلة والتشبيهات ليست للشرح التام، بل لتقريب الفكرة إلى عقولنا القاصرة عن إدراك الله، حتى يتم العمل بالروح القدس لأنه هو المُقنع (1كورنثوس12 :3).

6- "إنْ الدين جاء بشيء قد يعلو عن الفهم، فلا يمكن أنْ يأتي بما يستحيل على العقل" (الإمام محمد عبده "رسالة التوحيد" ص 20).

7- قد يسمو الإيمان فوق العقل، ولكنه لا يتعارض معه، فقد تكون هناك عقيدة أسمى من العقل، لكنها لا تكون ضد العقل (مثل مسألة رياضيات صعبة لكنها ليست خطأً). ولكن الأهم هو عمل الروح القدوس(1كورنثوس12: 3).

8- المشكلة ليست فيما أعلنه الله لنا في شخصيته وفي تجسّده، بل المشكلة في إدراكنا.

9- نحن كأولاد نلعب على شاطئ البحر محاولين الإتيان بالبحر في حفرنا. أقصى ما يمكننا هو أن نملأ حفرنا. لا يمكننا أن نأتي بالله ومعرفته الكاملة في عقولنا المحدودة، لكننا نفتح قلوبنا له.

10- الله لم يره أحد قط، لكن المسيح هو كلمة الله (الأزليّ)، الذي حمل كل سلطانه ومثّله لنا.

إن معرفة الله تفوق إمكانياتنا، لكن المسيح الذي أعلن الآب لنا يتحدث عنها. ويمكننا أن نقبل شهادته فهي حق، فمن يريد أن يعرف منْ هو الله، لا يسأل الحكماء والكُتّاب ومجادلي هذا العصر، بل لينظر إلى المسيح وليصغ لكلمته، ولا يقل في قلبه مَنْ يصعد إلى السماء أو من ينزل للأعماق؟ لأن الكلمة قريبة منك، الكلمة التي أعلنها المسيح (رو10 :6-8)، (بين العقل والإيمان ل د.هيرمان بافينك جـ2 ص21).

بالرغم من اعتراض الإسلام على العقائد المسيحية الأساسية فإن القرآن يُضفي على المسيح صفات وكرامات تجعله فوق مستوى البشر. وهذه الميزات تنبع من سيرته، ومن رسالته، ومن شخصيته. وحين نقارن بين هذه الميزات والميزات التي ذكرها القرآن للبشر، نرى أنه لا يُعطي أحداً منهم شيئاً من ميزات المسيح.

بينما يقدم الإسلام هذه الميزات للمسيح ينسب القرآن الخطيئة إلى البشر حتى أفضلهم - نورد منهم: آدم وزوجه "فَأَزَلَّهُمَّا الشيطان" **(البقرة 2: 36).** "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى" **(طه20: 121) والغواية من الكبائر حسب تفسير ابن كثير للآية.**

وإبراهيم أب المؤمنين والأنبياء، كفر ثم اهتدى (الأنعام6: 76، إبراهيم14: 41)، وكذب ثلاث مرات (البقرة 2: 26، الأنبياء21: 64).

وموسى سيد الشريعة الذي كلَّم الله تكليماً (النساء 4: 163) وكز المصريّ فقضى عليه، فقال: "هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ . قَالَ رَبِّ إِنِي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ" **(القصص28: 16؛ والشعراء26: 19؛ والأعراف7: 149). وداود صاحب الزَّبور:** "وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ" **(ص 38: 24 ، 25).**

وينسب القرآن الخطأ إلى أحدهم فيقول: "أَلَمْ نَشْرَح لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ" **(الشرح94: 1-3). فيحتمل أنه كان وزراً ثقيلاً ذلك الذي أنقض الظهر! ويقول:** "وَوَجَدكَ ضَالاً فَهَدَى" **(الضحى93: 7-8) والضلال من أعظم المعاصي كما قال الرازى فى تفسيره للآية، ويقول:** "لِيغْفِرَ لكَ اللَّه مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ" **(الفتح48: 2)، فسبق له ذنوب تتبعها ذنوب، وقد شعر الجميع بحاجة دائمة إلى الاستغفار فيقول:** "وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِك" **(غافر40: 55)، ويتكرر الاستغفار في (النساء4: 106؛ وسورة محمد47: 19). ويُنسب الشك إليه منهم، فيقول له:** " فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيكَ فَاسأَلِ الَّذِينَ يَقرَأُونَ الكِتَابَ مِن قَبلِكِ" **(يونس10: 94). وقد تملّق قومه بالشفاعة للأصنام في (الإسراء17: 73)، فيقول له:** "وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَن الَذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ"**. وأذِنَ للمنافقين بالقعود عن الجهاد:** "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ" **(التوبة9: 43).**

وفي الحديث ورد قوله: "توبوا إلى ربكم فو الله إني لأتوب إلى الله عز وجل سبعين مرة في اليوم"**، وعلى قول بعضهم** "مئة مرة" **لكن هناك واحداً فقط لا يذكر له القرآن إثماً ولا علاقة بالخطية على الإطلاق، هو المسيح عيسى ابن مريم، ولا نجد له حاجة للاستغفار أو التوبة، بل ميزّه القرآن بصفات، يسطع نورها بالمقارنة بين ما تلطخ به البشر من خطايا. وبين ما تميز المسيح به:**

1- الحبل العجيب:

نقرأ في سورة التحريم: "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِن القَانِتِينَ" (التحريم 12:66، والأنبياء21: 91).

قال الفخر الرازي: "فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا، أي في عيسى .. لأن عيسى كان في بطنها". واختلفوا في النافخ. قال بعضهم: كان النفخ من الله، لقوله: "فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا". وظاهر أن النافخ هو الله تعالى. وقال آخرون النافخ هو جبريل، لأنه الظاهر من قول جبريل: "لِأَهَبَ لَكِ".

ثم اختلفوا في كيفية النفخ:

(1) قال وهب إن جبريل نفخ في جيبها حتى وصل الرحم.

(2) في ذيلها فوصلت (النفخة) إلى الفرج.

(3) قال وهب بن منّبه: أخذ بكمها فنفخ في جنب درعها، فدخلت النفخة في صدرها، فحملت. فجاءتها أختها امرأة زكريا، فالتزمتها. فلما التزمتها علمت أنها حبلى، وذكرت مريم حالها. فقالت امرأة زكريا: "إني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك"، فذلك قوله: "مُّصَدِّقاً بكلمةٍ مِنْ اللَّه".

(4) إن النفخة كانت في فمها، فوصلت إلى بطنها فحملت في الحال.

وعن ابن عباس أنه قال: نفخ جبريل في جوف الدرع ومدّة بإصبعه ونفخ فيه، وكل ما في الدرع من خرق ونحوه يقع عليه اسم الفرج. وقيل "أَحْصَنَتْ" تكلفت في عفتها والمحصَّنة العفيفة. "فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا" أي فرج ثوبها. وقيل خلقنا فيه ما يظهر به الحياة في الأبدان. وقال مقاتل في شرح "وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا" يعني بعيسى. ويدل عليه قراءة الحسن "بكلمةِ ربها". وسُمَّي عيسى"كلمة الله" في مواضع أخرى من القرآن.

2- الولادة العجيبة:

يذكر لنا القرآن الحوار بين مريم العذراء وملاك الرب حين جاء ليبشّرها. قال: "إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً. قالتْ: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً؟ قالَ: كَذَلِكَ قالَ رَبُّكِ هُوَ على هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاس وَرَحْمَةً مِنَّا، وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً" (مريم19:19- 21). وقد علّق البيضاوي على ولادة المسيح المعجزية بقوله: "تلك ميزة تفَّرد بها المسيح على العالمين والمرسلين، لأنه وُلِد دون أن تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث، وكلام الملاك لمريم شفاهاً كرامة لها". وقد تمثّل لها جبريل بشراً سوياً حتى لا تخاف منه، (وهكذا فى اقتراب العظيم من الصغير الضعيف لابد من تنازل الكبير حتى لا يخاف منه الضعيف).

أما الفخر الرازي فقال: العبارة "لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً" الزكي يفيد أموراً ثلاثة:

أ. إنه طاهر من الذنوب .

ب. إنه ينمو على التزكية، لأنه يقال فيمن لا ذنب له زكي، وفي الزرع النامي زكي.

ج. النزاهة والطهارة.

العبارة "وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاس وَرَحْمَةً"، أي لنجعل خلقه آية للناس، إذ ولد من غير ذكر. "ورحمة منا" أي يرحم عبادنا بإظهار هذه الآيات، حتى تكون دلائل صدقه أبهر، فيكون قبول قوله أقرب. وقال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسير: "غُلاَماً زَكِيّاً" وذلك بالاستناد إلى قول أبي عمرو: "الغلام الزكي هو الطاهر من الذنوب. وكذلك تقول العرب: غلام زاكٍ وزكي وعالٍ وعلي".

وفي الحديث الذي رواه البخاري: "كل آدمي يطعن الشيطان بجنبه حين يُولد. إلا عيسى وأمه عليهما السلام، جُعِلَ بينهما حجاب فلم ينفذ إليهما شيء منه". قال البيضاوي: " معناه إن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث

يتأثر منه، إلا مريم وابنها فإن الله تعالى عصمهما ببركة الاستعاذة".
العجيب أن يُنسب للمسيح وهو مولود فى مهده صفات خارقة لا يمكن أن تنسب لأى طفل سواء فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل.

3- كونه مباركاً:

يقول القرآن عن لسان المسيح: "وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ" (مريم19:31). قال الطبري عن يونس بن عبد الأعلى عن سفيان أن تفسير: " وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً": نفّاعاً (كما قال مجاهد). كانت بركته الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فهو معلم للخير (راجع الطبري جـ16 فى تفسيره للآية ص 80-81).

وقال الإمام الرازي: قوله "وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ". إن فى تفسير المبارك وجوهاً:

(أحدها) أن البركة في اللغة هي الثبات، وأصله من بروك البعير فمعناه جعلني ثابتاً على دين الله مستقراً عليه.

(وثانيهما) أنه إنما كان مباركاً لأنه كان يُعلِّم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق، فإن ضلوا فمن قِبَل أنفسهم لا من قِبَله، وروى الحسن عن النبي قال: أسلمت أم عيسى عليها السلام عيسى إلى الكُتَّاب، فقالت للمعلم: أدفعه إليك على أن لا تضربه. فقال له المعلم: اكتب. فقال: أي شيء أكتب؟ فقال: اكتب أبجد. فرفع عيسى عليه السلام رأسه، فقال: هل تدري ما أبجد؟ فعلاه بالدُرَّة ليضربه، فقال: يا مؤدّب لا تضربني. إن كنت لا تدري فاسألني فأنا أُعلِّمك: الألف من آلاء الله، والباء من بهاء الله، والجيم من جمال الله، والدال من أداء الحق إلى الله.

(وثالثها) البركة الزيادة والعلو، فكأنه قال: جعلني في جميع الأحوال غالباً مفلحاً منجحاً لأني ما دمت أبقى في الدنيا أكون على الغير مستعلياً بالحجة، فإذا جاء الوقت المعلوم يكرمني الله تعالى بالرفع إلى السماء.

(ورابعها) مبارك على الناس بحيث يحصل بسبب دعائي إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. عن قتادة أنه رأته امرأة وهو يُحيي ويُبرئ الأكمه والأبرص، فقالت: طوبى لبطن حملك وثدي أُرضعت به. فقال عيسى عليه السلام مجيباً: طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جباراً شقياً.

4- كونه آية ورحمة للعالمين

يقول القرآن بأن المسيح ولد من العذراء مريم ليكون آية للناس ورحمة من الله."قَالَ: رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ، وَلِنَجعَلَهُ آيَة لِلنَّاس وَرَحمَة مِّنَّا وَكَانَ أمراً مَّقضِيّاً" (مريم 19: 21). يقول البيضاوي في تفسيره لكلمة "آية": علامة لهم وبرهاناً على كمال قدرة الله، ميلاده الفريد آية شخصه ورسالته. أي آية للناس ليؤمنوا (قارن رومية1: 16)، "ورحمة منا" للعبادة بإرشاده، أي في المسيح تتبدى رحمة الله" (قارن تيطس3: 4-6).

يقول يوسف درة الحداد: المسيح "آية" البشرية وآية الدهور بسبب ولادته البتولية، وهذا شرف لم ينله إبراهيم حجر الزاوية في الدين الحنيف، ولم يحظَ به موسى كليم الله، ولم يُنسَب مطلقاً إلى أي نبي، فموسى وإبراهيم لم يتقربَّا من الله إلا في كهولتهما.

وآية لأنه ولد نبياً، دون سائر الأنبياء والمرسلين: تنبأ منذ مولده (مريم 19: 30)! فجميع الأنبياء صاروا أنبياء وهم "رجالاً كهولاً". وهو وحده الذي تنبأ وهو طفلاً: "تكلم الناس في المهد وكهلا" (آل عمران 3: 47، المائدة5: 115)، يقول البيضاوي: دون تفاوت في النبوة بين الطفولة والكهولة. ويقول البيضاوي في تفسير (مريم19: 29)، ويؤيده الزمخشرى: "أني عبد الله" قيل

أكمل الله عقله استنبأه طفلاً... ولقب "عبد الله" هذا لقب الأنبياء والأولياء في الكتاب، أنطقه الله به لأنه أول المقامات، "آتاني الكتاب" الذي نزل قبله، بينما بقية الأنبياء نزل عليهم الكتاب فصاروا أنبياء. وذُكر عنه أنه وُلد نبياً، ولكن دُعي كل الأنبياء للنبوة وهم في سن الرجولة.

لماذا ولادة المسيح من العذراء مريم آية ورحمة ؟

لو أن الأمر هو مجرد آية فقط، لكان يكفي غنى الآيات والعجائب التي ميَّزت خدمة المسيح، من شفاء المرضى، وإخراج الشياطين، وإقامة الموتى. إن الله عز وجل لا يقضي بأمر دون أن يكون له قصد إلهي، وحكمة أزلية منه. ناهيك عن أن الولادة من عذراء ليس لها مثيل في تاريخ البشرية كله، إلا في ولادة المسيح من مريم، وهذا يدل علي ميزة هذا المولود، وسموه فوق البشر. قصد الله الأزلي من هذه الآية هو الرحمة للناس بالمسيح ابن مريم. (فالتقت الرحمة بالعدل مزمور85: 10).

5- كونه مؤيداً بروح القدس:

"وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ" (البقرة 2: 87 و253 المائدة 5: 110). قال ابن عباس: "إن روح القدس هو الاسم الذي كان عيسى به يحيي الموتى". وقال أبو مسلم: "روح القدس الذي أُيِّدَ به يجوز أنه الروح الطاهرة التي نفخها الله تعالى فيه، وأبانه بها عن غيره ممن خلق من اجتماع نطفتي الذكر والأنثى". ونقرأ في النساء: "الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ. فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ" (النساء4: 171).

وبمراجعة ابن كثير نجد أن خلاصة هذه الآيات، أن الله أعطى عيسى في ذاته روحاً، وأن هذا الروح يؤيّده في شخصيته. ومع ذلك فقد اختلف علماء الإسلام في تفسير الروح القدس الذي تأيّد به المسيح. فقد قال ابن أنس: "و الروح الذي نُفخ في المسيح، أضافه الله إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً. والقدس هو الله يدل عليه قوله: "فنفخنا فيه من روحنا"".

وقال السدي وكعب: "روح القدس هو جبريل. وتأييد عيسى بجبريل هو إنه كان قرينه ورفيقه، يُعينه ويسير معه حيثما سار، إلى أن صعد به إلى السماء".

وقال ابن جبير: "روح القدس هو اسم الله الأعظم، وبه كان عيسى يُحيي الموتى". قال القاشاني: "الله طَّهر جسم عيسى من الأقذار الطبيعية، فهو روح متجسّد، في بدن مثالي روحاني، وذلك من صفاء جوهر طينته ولطافتها، وصفاء طينة أمه وطهارتها. ونزَّه روحه وقدَّسه من التأثر بالهيئات الطبيعية والصفات البدنيّة، لتأييده بروح القدس، الذي هو على صورته".

قال ابن عطا: "إن أحسن النبات ما كان ثمرته مثل عيسى روح الله". وقال ابن عباس: "إنه الروح الذي نفخ فيه، والقدس هو الله فهو إذن روح الله ". (ابن كثير في تفسيره للآية) وقال البيضاوي: "كان المسيح يحيي الأموات والقلوب، لذا سُمِّي روحاً".

وتعليم القرآن عن الروح غامض،فيقول: "وَيَسأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِن أَمرِ رَبِّي. وَمَآ أُوتِيتُم مِنَ ٱلعِلمِ إِلا قَلِيلاً" (الإسراء17: 85). وروح القدس الذي اختص به عيسى ابن مريم دون سائر الناس والأنبياء، هو خلاف باقي الأرواح، وإضافته ونسبته إلى القدس تجعله في صلة خاصة بالله تعالى، فقد جعلوا "القدس" مرادفاً لله (كما قال ابن عباس). وروح القدس المُوحِي إلى نبي الإسلام هو جبريل "وَكَذَٰلِكَ أَوحَينَآ إِلَيكَ رُوحاً مِّن أَمرِنَا" (الشورى42: 52). "قُل مَن كَانَ عَدُوّاً لِجِبرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلبِكَ بِإِذنِ ٱللَّهِ، مُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيهِ

وَهُدى وَبُشرَى لِلمُؤمِنِينَ" (البقرة 2: 97)، بهذا فهو يتميّز عن روح القدس الذي خصّ القرآن تأييد المسيح به، فهو روح قدرة إلهية، به أحيا عيسى الموتى وخلق من الطين طيراً (راجع ابن كثير).

أما الرازى والأمام ابن حنبل فاتفقا على أن الروح القدس ليس مخلوقاً! ونحن نسأل هل هناك من هو ليس مخلوقاً سوى الخالق؟ لذا نقول إن الروح القدس الذى تأيد به المسيح هو روح الله من المنظور المسيحى، راجع أيضاً (يوسف 87) "لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون".

وقد أيَّد الله نفسه عيسى ومن اتبّعوه، فيقول: "يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبنُ مَريَمَ لِلحَوَارِيِّنَ: مَنْ أَنصَارِي إِلَى ٱللَّهِ؟ قَالَ ٱلحَوَارِيُّونَ : نَحنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ. فَأَمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّن بَنِي إِسرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ، فَأَيَّدنَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ عَلَى عَدُوهِم فَأَصبَحُواْ ظَاهِرِينَ" (الصف61: 14).

6- عصمته في رسالته كما في سيرته:

يتوّهم البعض أن العصمة في الرسالة تقترن حتماً بالعصمة في السيرة. لكن نصوص القرآن تنقض هذا الوهم، إذ نقرأ في السيرة الكثير من النصوص التي تفيد أن الأنبياء لم تكن حياتهم بلا لوم، لا قبل الرسالة ولا بعدها. أما المسيح في القرآن فسيرته معصومة كرسالته. فقد شهد الملاك بذلك إذ قال لأمه: "أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً". وقد قال البيضاوي في تفسير كلمة "زَكِي": إن عيسى كان مترقياً من سن إلى سن.

7- تفرُّد رسالته بالبيّنات:

فكما انفردت رسالته على الرسالات جميعاً بتأييد الروح القدس، انفردت أيضاً بالبيّنات، وباستجماعها كما لم تجتمع لغيره، إذ نقرأ: "وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ" (البقرة 2: 87، 253)، والبيّنات هي العجائب.

قال البيضاوي: "لقد خصَّه الله بالتعيين، وجعل معجزاته سبب تفضيله على الرسل لأنها آيات واضحة، ومعجزات عظيمة، لم يستجمعها غيره".

8- علامة الساعة (المجيء الثاني):

"وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ... وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ" (الزخرف43: 57،61). قال الجلالان في تفسير "لَعِلْمٌ للساعة"، إنه عيسى لعلم الساعة تُعلَم بنزوله، فالمسيح يأتي ثانية كعلامة للساعة أي القيامة. ومتى ذكرنا أنّ المعروف عند الناس أن الله ينفرد عن خلقه بأنه وحده عنده علم الساعة، ندرك الميزة التي أفردها القرآن للمسيح كاعلامة للساعة في مجيئه ثانية.

9- إنه الشفيع المقّرب:

حين نتأمل سورة الزمر39: 43-44 والسجدة 32: 4 نجد أن القرآن يحصر الشفاعة في الله وحده، إذ يقول "و لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً". ومع ذلك فإن أحد نصوص القرآن يقول إن الشفاعة أيضاً من امتيازات المسيح، إذ يقول : "إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ. وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (آل عمران 3: 45).

قال الجلالان في تفسير هذه الآية: "وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا" بالنبوّة وفي الآخرة بالشفاعة والدرجات العُلى، ومن المقَّربين عند الله. وأخرج الطبري عن ابن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر، قال: "وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا" أي ذو وجه ومنزلة عند الله، وفي الآخرة، ومن المقربين يعني أنه ممن يقّربه الله يوم القيامة فيُسكنه في جواره ويُدنيه منه" (الطبري في تفسير الآية جـ3 ص 271).

وقال الرازي: "وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا" بسبب إنه يُستجاب دعاؤه، ويُحيي الموتى ويُبرئ الأكمه والأبرص. ووجيه في الآخرة إنه يجعله شفيع أمته.

أما قوله "وَمِنَ المُقرَّبينَ" ففيه وجوه:

(1) إنه تعالى جعل ذلك بالمدح العظيم للملائكة، فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم في هذه الصفة.

(2) إن هذا الوصف كالتنبيه على أنه سيُرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة.

(3) إنه ليس كل وجيه في الآخرة يكون مقرباً. لأن أهل الجنة على مراتب ودرجات.

وقال البيضاوي: "الوجاهة في الدنيا النبوّة وفي الآخرة الشفاعة".

وقال الزمخشري: "الوجاهة في الدنيا النبوّة والتقدم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة، أو رفعه إلى السماء وصحبته الملائكة".

وقال ابن كثير في تفسير آل عمران3: 45(جـ 1ص 364): "له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة وينزله عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه الله له، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه".

ورغم أن القرآن قال إن الشفاعة ليست لأحد "إلا مَن أذِنَ لهُ الرَّحمانُ" (طه20: 109)، ولا يذكر شفاعة لأي من الأنبياء، فيقول: "استَغفِرْ لهُم أو لا تَستَغفِر لهُم: إنْ تَستَغفِر لهُمْ سَبعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغفِر اللَّهُ لهُمْ. ذ لِكَ بأَنَّهُمْ كَفَرُوا باللَّهِ وَرَسُولِه وَاللَّهُ لا يَهدِى القَوْمَ الفَاسِقِينَ" **(التوبة 9 :80). قال الجلالان: يُبيّن له حسم عدم المغفرة بآية** "استَغفِرْ لهُم أو لا تَستَغفِر لهُم". **وقال البيضاوي: "يريد التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم" أما القول:** "أفَمن حقَّ عليه كلمة العذاب: أفأنت تنقذ مَنْ في النار؟" **(الزمر39: 19)، فسرّه البيضاوي: "كُررت الهمزه في الجزاء لتأكيد الإنكار والاستبعاد ووضع مَنْ في النار موضع الضمير لذلك، وللدلالة على أن من حُكِمَ عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلق فيه".**

10- رفعه عند وفاته:

"وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إلى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يوم القيامة" **(آل عمران3: 55).**

قال ابن عباس: "مُتَوَفِّيكَ" **أي مميتك. وقال وهب "أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رَفَعَه" (ابن كثير في تفسيره الآية جـ1ص367). وقال الفخر الرازي لتفسير هذه الآية عِدة وجوه:**

(أ) المراد بالرِفعة "إني رَافِعُك" **إلى محل كرامتي، وجعل ذلك رفعاً إليه للتفخيم والتعظيم ومثلها قوله:** "إني ذاهب إلى ربي".

(ب) لتأويل أن يكون قوله "وَرَافِعُكَ إلىَّ" **معناه أنه يرفعه إلى مكان لا يملك أحد الحكم فيه. لأن في الأرض قد يتولى الخلق أنواع الأحكام. أما في السموات فلا حاكم في الحقيقة وفي الظاهر إلا الله. ولنا عودة في كتاب "ما هي حتمية كفارة المسيح؟"**

ثانياً : معجزات المسيح في القرآن

1- الخلق:

جاء في القرآن: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ...إِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ. وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّين كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي" **(المائدة 5: 110 وآل عمران 3: 49).**

قال ابن العربي في تفسير الآية: "خص الله عيسى بكونه روحاً. وأضاف النفخ في خلقه من الطين، ولم يضف نفخاً في إعطاء الحياة لغير عيسى بل لنفسه تعالى".

2- النطق عند الولادة :

حين ولدت مريم ابنها، تناولها أبناء قومها بالتأنيب، ظناً بأنها حملت بابنها سفاحاً. "فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ، قَالُوا : كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً؟ قَالَ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً"(مريم19: 29،30)

قال ثقات العلماء إنّ قوم مريم لمّا بالغوا في توبيخها سكتت وأشارت إلى وليدها، كأنّها تقول لهم: هو الذي يجيبكم. وقال السديّ: لمّا أشارت إليه غضبوا غضباً شديداً. وقالوا: إنّ لسخريتها بنا أشدّ من زناها. وفي رواية أخرى أنّ عيسى كان يرضع، فلمّا سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه، واتّكأ على يساره وأشار بسبابته وكلّمهم. هناك رواية أخرى نقلها الرازيّ: إنّ زكريّا أتاها عند مناظرة اليهود إيّاها. فقال لعيسى انطق بحجّتك، إن كنت أُمرت بها، فقال عيسى: "إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً".

3-إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص :

فيقول بلسان المسيح: "أُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ ا للَّهِ**" (آل عمران3:49). من المعروف أنّ الأكمه هو منْ وُلِد أعمى، والبرص هو المرض الخطير المعروف. والمرضان من الأدواء التي يتعذّر شفاؤهما على البشر. وقد ذكر المثني عن ابن إسحاق عن حفص بن عمر، عن عكرمة. قال: "إنّما أخبر الله عزّ وجلّ عن عيسى أنّه يقول ذلك لبني إسرائيل، احتجاجاً منه بهذه العِبر والآيات عليهم في نبّوته. وذلك أنّ الكمه والبرص لا علاج لهما، فكان ذلك من أدلّته على صدق قلبه".**

وأحيي الموتى. قال وهب بن منبّه: "بينما كان عيسى يلعب مع الصبيان، إذ وثب غلام على صبيّ فوكزه برجله فقتله، فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطّخ بالدم. فأطّلع الناس عليه، فاتّهموه به. فأخذوه وانطلقوا به إلى قاضي مصر، فقالوا: هذا قتل. فسأله القاضي، فقال عيسى: لا أدري مَنْ قتله، وما أنا بصاحبه. فأرادوا أن يبطشوا بعيسى، فقال لهم: أئتوني بالغلام. فقالوا: ماذا تريد؟ قال: أسأله منْ قتله؟ فقالوا: كيف يكلّمك وهو ميت؟! فأخذوه، وأتوا به إلى الغلام القتيل. فأقبل عيسى على الدعاء، فأحياه الله". (راجع قصص الأنبياء للثعلبى).

عن وهب أيضاً قوله: إنّه ربّما اجتمع على عيسى من المرضى، في الساعة الواحدة، خمسون ألفاً. مَن أطاق منهم أن يبلُغه بلَغه، ومَن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشي إليه، وإنّما كان يداويهم بالدعاء.

وعن الكلبيّ، أنّه قال: "كان عيسى عليه السلام يُحيي الموتى بـ "يا حيّ يا قيوم". وأحيا عاذر (يقصد لعازر، كما في يوحنا11) وكان صديقاً له. ودعا سام بن نوح من قبره، فخرج حيّاً. ومرّ على ابنٍ ميت لعجوز، فدعا الله فنزل عن سريره، ورجع إلى أهله ووُلِد له".

4- العـلم بالغيب:

قال القرآن بلسان المسيح: "وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**" (آل عمران3: 49) . هنا يجد العلماء مسألتين :**

المسألة الأولى: أنّه كان منذ أوّل أمره يُخبِر بالغيوب. فقد روى السُّدي: إنّه كان يلعب مع الصبيان، ثمّ يخبرهم بأفعال آبائهم وأمّهاتهم. وكان يخبر الصبيّ: إنّ أمّك قد خبّأت لك كذا. فيرجع الصبيّ إلى أهله ويبكي، إلى أن يأخذ ذلك الشيء. ثمّ قالوا لصبيانهم: لا تلعبوا مع هذا الساحر. وجمعوهم في بيت. فجاء عيسى يطلبهم، فقالوا له: " ليسوا في البيت". فقال: فمَن في هذا البيت؟ قالوا: "خنازير". قال عيسى: كذلك يكونون، فإذا هم خنازير (راجع قصص الأنبياء للثعلبي).

<u>المسألة الثانية</u>: الإخبار عن الغيوب على هذا الوجه معجزة. فالمنجّمون الذين يدّعون استخراج الخبر لا يمكنهم ذلك إلاّ عن سؤال. ثمّ يعترفون بأنّهم يغلطون كثيراً. أمّا الإخبار عن الغيب، من غير استعانته بآلته، ولا تقدّم فيه مسألة لا يكون إلاّ بالوحي.

ويقول أحد الأساقفة المعاصرين هنا نرى أن السيد المسيح يتميز بأربعة أنواع من المعجزات:

1. **<u>الشفاء</u>** "أبرئ الأكمة" (الأعمى منذ ولادته) والأبرص".
2. **<u>إحياء الموتى</u>** (وأحى الموتى) ولم يسندها القرآن إلا للسيد المسيح.
3. **<u>الخلق</u>** "وأخلق لكم" وهو صفة من صفات الله لم تسند إلا للسيد المسيح.
4. **أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم فسرها الجلالان: كان المسيح يخبر الشخص بما يأكله وما سيأكله بعد ذلك (لم تنسب إلا للمسيح)، فلا يعلم الغيب إلا الله.**

ويلاحظ فى هذه المعجزات حقيقتين هامتين:

<u>الحقيقة الأولى</u>: فى معجزة الخلق، السيد المسيح خَلَق من طين وهى نفس مادة الخلق. قول القرآن بصريح العبارة أنى أخلق لكم معناه المباشر والواضح أن السيد المسيح خالق كما كان منذ البدء . ومن المُسَلّمات أن الله وحده الخالق ولا شريك له فى هذا. فصفة الخلق من الصفات المطلقة التى ينفرد بها الله.

و إذاً فعندما ينسب القرآن للسيد المسيح صفة الخلق فهل يُعتبر هذا دليل على إقرار القرآن بحقيقة لاهوت السيد المسيح؟ [الواقع هذا هو الرأى المسيحى].

<u>الحقيقه الثانية</u>: القرآن ينسب للسيد المسيح معرفة الغيب ولكن القرآن فى نفس الوقت ينسب معرفة الغيب لله وحده (راجع المائدة 109 والأنعام 59). فالله وحده الذى يعلم الغيب دون سائر الرسل والأنبياء.

5- إنزال المائدة من السماء:

يقول القرآن: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ؟ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ. قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" **(المائدة 5: 112-114).**

اختلف الأئمة في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها. فروى قتادة عن جابر، عن ياسر بن عمار، أنه قال: "أُنزلت المائدة عليها خبز ولحم. وذلك أنهم سألوا عيسى طعاماً يأكلون منه، ولا ينفد. فقال لهم: إني فاعل ذلك. وإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا أو تخونوا. فإن فعلتم ذلك عُذِّبتُم". فما مضى يومهم حتى خانوا وخبّأوا. فرُفعت ومُسخوا قردة وخنازير. (راجع ابن كثير والثعلبي).

وقال <u>ابن عباس</u>: "قال عيسى لبني إسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً، ثم سلوا الله ما شئتم سيعطيكم. فصاموا ثلاثين يوماً، فلما فرغوا، قالوا: يا عيسى إننا صُمْنا فجُعْنا، فادْعُ الله أن يُنزل مائدة من السماء. فلبس عيسى المسوح، وافترش الرماد. ثم دعا الله، فأقبلت الملائكة بمائدة، يحملون سبعة أرغفة وسبعة أحوات، ووضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم". وينسب ابن كثير هذه الأقوال الأخيرة لأبي جعفر بن جرير.

ويقول ابن كثير: ذكر بعض الآئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل. [ومع ذلك يمكننا مقارنة تلك القصة ببعض القصص الكتابية، مثل إشباع الجموع، وإنزال مائدة لبطرس قبل لقاء كرنيليوس، بل ويمكن أيضاً المقارنة

مع "إنـزال المن والسلوى"، ومع "العشاء الأخير"، ففي بداية القـصة قـام المسيح قبل الـعشاء وغسل أيديـهم، وليس أرجلهم كما جاء في يوحنا 13].

ثالثاً: بنوة المسيح في القرآن

يرى المتأمِّل في شخص المسيح، من خلال القرآن، أنّ موضـوع بُنوّيتـه يثير جدليّة القرآن وفيه خمس نظريّات لتكفيـر القـول "بـالبنوة لله"، فهـل المسيحية منها براء؟ [نعم إذا كانت البنوية المقصودة غير مفهومة].

1 – <u>النظريـة الأولى</u>: الأخذ من خلقـه: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِداً تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَان وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَان أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض إلاَّ آتِي الرَّحْمَان عَبْداً" **(مريم19: 88–93).** "وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّـهِ وَلَداً" **(البقـرة 2: 117).** "ذلك عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قولَ الحق الذي فِيه يمترون. مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" **(مريم19: 34– 35)** .

قال البيضاوي في تفسير البقرة2: 117 "وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهِ وَلَداً" نزلـت لمـا قالت اليهود: عزير ابن الله، والنصارى: المسيح ابن الله ، ومشركو الـعرب: الملائكة بنات الله ... سبحانه تنـزيه له عن ذلك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء. بل له ما في السماوات والأرض رد لما قالوه واستدلال علـى فساده.

جاء في كتاب التفسير الكبير <u>للفخر الرازيّ</u>: "أعلم أنّه تعالى لمّا ردّ علـى عبدة الأوثان عاد إلى الردّ على من أثبت له ولد. (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) وقالت العرب الملائكـة بنـات الله. والكـلّ داخلون في هذه الآية".

والمعنى أنه تـعالى "خالق ما في السموات والأرض". ثـم يُعّقـب بقـول القرآن " كل له قـانتون"، أي منقـادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينـه. وكل مـا كان بهذه الصفة لم يجانس مكوّنـه الواجب لذاته، فـلا يكون لـه ولد، لأن من حـق <u>الوالد</u> أن يجانس <u>والده</u> أي كل ما فيـه". ونحن إذ ننقل هذا التـعليق من الإمام البيضاوي فـذلك لبيان مـعنى استحـالة الأخذ ولـداً لله بـهذه الطريقـة. والكلمة جئتم شيئاً إداً تعني المُنكَر العظـيم. لـذلك عنـى بانفطار السماء وانشقاق الأرض وخرور الجبال غضبه على مَنْ تفوّه بالقول: "إتّخذ الرحمَن ولداً".

2–<u>النظرية الثـانية</u>: ضم جزء لله من خلقه. القول بابن لله تعالى معناه <u>ضـم جزء لله من خلقه</u> "وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا، إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ" **(الزخرف43: 15–16). فسَّره البيضاوي: "وجعلوا من عباده ولداً، ولعله سمَّاه جزءاً كما يُسمَّي بعضاً لأنـه**

بعضه من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته". فالقول بالابن لله هو ضم جزء له من خلقه، وذلك ممتنع بين الخالق والمخلوق لأنه لا نسبة بينهما، ولا صلة كيانيّة. ومن هنا انطلق السؤال: أيّة نسبة بين الخالق والمخلوق حتّى يُضمّ جزّء من المخلوق إلى خالقه؟ يستحيل ذلك فطرةً وعقلاً. وأيضاً انطلقوا من القول إن كلّ ما في السموات والأرض إلاّ آتي الرحمن عبداً، ليقولوا: لا يمكن للعبد أن يكون ربّاً. ومن القول بديع السموات والأرض، قالوا: لا يمكن أن يكون المخلوق خالقاً.

ونحن كمسيحيّين نقرّ أنّه لا يجوز أن يُضم جزء إلى الله من خلائقه، ولكن في عقيدتنا لا ينطبق هذا على العلاقة القائمة بين الآب والابن. لأنّ الابن ذو جوهر واحد مع الآب، والقرآن يقول إنّ المسيح هو كلمة الله وروح منه. فضمّ جزء إلى الله من مخلوقاته ليس وارداً في شأن المسيح. إن لقب "كلمه الله" مأخوذ عن الإنجيل فالسيد المسيح فى الإنجيل هو "كلمة الله" وهذا اللقب هام جداً فى المفهوم اللاهوتى [الكلمة = لوغوس = عقل الله] وحظيا باهتمام الكنيسة الجامعة الى أقصى حد ولاسيما فى القرن الرابع (فى مواجهة بدعة آريوس وذلك بمجمع نيقية 325م، أى قبل ظهور الإسلام بثلاثة قرون. فلما جاء الإسلام لم يعارض هذا اللقب. ولكن لم يقدم له شرحاً. فيقول "ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم (آل عمران3: 58). السيد المسيح هو أيضا روح الله: إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه (النساء4: 171). فالملائكة أرواح مخلوقة من الله، و روح الإنسان نفخة من الله. السيد المسيح هو كلمة الله قبل أن يولد من مريم العذراء وهو روح الله قبل ولادته كذلك وهو رسول بعد ولادته لا قبلها لأنه مرسل الى البشر لإتمام عمل الفداء من أجل خلاص البشر.

3 – <u>النظرية الثالثة</u>: "البنوة الجسدية والولادة التناسلية". وهذه هي النظرية السائدة لامتناع الابن أو الولد على الله". "بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرض أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ؟ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِ شَيءٍ عَلِيمُ" (الأنعام6: 101). وجعلوا لله شركاء "الجن"، وقالواله بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون. فسَّر البيضاوي "أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ" أي من أين؟ أوكيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد؟ وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوده .

<u>الأول</u>: من مبدعاته السماوات والأرض، وهي مع أنها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها، فهو أولى بأن يتعالى عنها.

<u>الثاني</u>: إن المعقول من الولد ما يتّولد من ذكر وأنثى متجانسيْن، والله تعالى منَّزه عن المجانسة .

<u>الثالث</u>: "إن الولد كفؤ الوالد، ولا كفء له بوجهين: الأول: إن كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه، والثاني: أنه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالإجماع"، فلا يفهم مفسرو القرآن البنوة إلا من ذكر وأنثى، فلا ولد إلا من "صَاحِبَة" وتعالى الله عن الصاحبة والولد منها علواً كبيراً، فحتى الجن نفسها تعلن: "وَأَنَّهُ تَعَالى جَدُّ رَبِنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدَاً" (الجن72: 3).

فسَّره <u>البيضاوي</u> "تَعَالى جَدُّ رَبِنَا" أي عظمته من جد فلان في عيني، أي عظم ملكه وسلطانه أو غناه، والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو سلطانه أو لغناه. وقوله: " مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدَاً" بيان ذلك. فاستحالة الأبوة والبنوة في الله قائمة على أنه تعالى ربنا عن الزوجة والصاحبة، فلا ولد أو ابن في نظر القرآن بدون صاحبة!! فلا يفهم

المعترض الولادة والبنوة في الله (أيـاً كـانت) إلا بزوجة وزواج، فـهي بنوّة جسدية تناسلية. تلك هي جدليّة المعترض في نسبة البنوة إلى الله تعـالى.

ولا وجود لبنوّة من هذا النوع أو مـا يـشبهـه فـي الإنجيـل ولا فـي المسيحية. إذ تقول المسيحية ببنوّة في ذات الله تجعلهـا فوق الحسّ وفـوق الروح وفوق المخلوق كله. إنها من ذات الله في ذات الله لصلة ذاتية في الله، كتسلسل النطق من الناطق. الكلمة الإلهية "في البدء كان الكلمة، والكلمة كـان عند الله، وكان الكلمة الله". فهي بنوة روحية (أصيلة، غير مكتـسبة) أزليـة ذاتية في ذات الله، عبَّر عنهـا القرآن بـالقول: "إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّه وَكَلِمَتُهُ أَلقاهَا إِلى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنهُ" (النساء 4: 171).

وقد علّقَ البيضاويّ على الآية بقوله إنّ المعقول من الولد هو ما يتولّد من ذكر وأنثى متجانسَيْن والله تـعالى منزّه عن التجانس.

هذه هي فكرة المعترض في استحالة الولد إلى الله، فإنّه لا صاحبة له. ولا يمكن أن تكون له صاحبة. وهذا هو سرّ استنكار أُبّوة الله للمسيح. لأنّه لا بُنوّة في الفكر المعارض إلاّ البنوّة التناسليّة الجسديّة. وممّا يؤيّد ذلك ما جاء فـي كتاب جامع البيان للطبريّ، عن ابن وهب عن أبي زيد أنّه قـال: الولـد إنّمـا يكون من الذكر والأنثى، ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة، فيكـون لـه ولد. وذلك أنّه هو الذي خلق كلّ شيء. فإذا كان لا شيء إلاّ الله خلقه، فـأنّى يكون له ولد ؟

ويرجّح ثقات الباحثين أنّ الآية نزلت في حقّ بعض أهل البدع مـن أصـل وثنيّ، الذين التصقوا بالكنيسة، وكانت لهم محاولة لـيُدْخِلوا فيها بدعة مفادها أنّ مريم العذراء إلهة. ولعلّهم استعـاضوا بها عـن الزهـرة، التـي كـانوا يعبدونها قبلاً. وقد أشار إليهم العلاّمة الكبير أحمد المقريزي في كتابه (القـول الإبريزي صفحة 26). وذكرهم ابن حزم في كتابه (الملل والأهـواء والنحـل صفحة 48). وبما أنّ بدعتهم تفترض اِتّخاذ الله صاحبة وإنجاب ولـد منهـا، فبديهيّ أن يشجبها القرآن. ولنا عودة مع موضوع الثالوث في المسيحية.

لكنّ هذه الفكرة بعيدة كلّ البعد عن المسيحيّة، وليس ثمّة مـسيحيّ واحـد يؤمن بها. لأنّها إهانة موجَّهة إلى جلال الله القدّوس، المنزَّه عن كلّ خصائص الجسد.

والحقيقة أنّ الباحث في عقيدة المسيحيّين المبنيّة على الإنجيل، يرى أنّهم لا يقولون إطلاقاً بأنّ المسيح ابن الله على طريقة الاستيلاد من صـاحبة، بـل يؤمنون بأنّه ابن الله على طريقة الصدور منه في الوجود الإلهيّ، بصفة كونه الكلمة الذي كان في البدء عند الله، وقد حُبِل به من الروح القُدُس.

وقد أشار الرسول بولس إلى هذه الحقيقة بقولـه:" بُولُسُ،عَبْـدٌ لِيَـسُوعَ الْمَسِيحِ، الْمَدْعُوُّ رَسُولاً، الْمُفْرَزُ لإِنْجِيلِ اللّهِ، الَّذِي سَبَقَ فَوَعَدَ بِهِ بِأَنْبِيَائِهِ فِـي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ،عَنِ ابْنِهِ. الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ، وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ يسوعَ الْمَسِـيحِ ربنـا" (رومية 1: 1-4).

ويقف معظم المفسرين عند هذة النظرية الثالثة. و لكن ابـن حـزم يقـدم احتمالين آخرين أو نظريتين إضافيتين.

4-النظرية الرابعة: كان يأكل الطعام كقوله: "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ ا نْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" (سورة المائدة 5: 75).

ففكر الإسلام هنا يقول إنّ استحالة الألوهية علـى المـسيح ظـاهرة مـن بشريّته. فمَن يأكل الطعام كيف يكون إلهاً؟ ويقول الرازيّ في تفسير الآية:

أ- إنّ كلَّ مَن كان له أمّ فقد حدث، بعد أن لم يكن. وكلّ مَن كان كذلك كان مخلوقاً لا إلهاً.

ب – إنّهما كانا محتاجَيْن إلى الطعام أشدّ الحاجة، والإله هو الذي يكون غنيّاً عن جميع الأشياء. فكيف إذاً يكون المسيح إلهاً.

ج – قوله "كَانَا يَأْكُلان الطَّعَامَ" كناية عن الحدث. لأنّ مَن أكل الطعام لابدّ وأن يحدث (وهذا عند الرازيّ ضعيف).

5– النظرية الخامسة: عجز المخلوق عن النفع والضرّ– كقوله: "قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ" (سورة المائدة 5: 76).

يتّخذ المفسّرون هذه الآية دليلاً على فساد قول النصارى وقد قالوا إنّه يحتمل أنواعاً من الحجّة:

أ – إنّ اليهود كانوا يعادونه ويقصدونه بالسوء، فما قدر على الإضرار بهم. وكان أنصاره وصحابته يحبّونه، فما قدر على إيصال نفع من منافع الدنيا إليهم. والعاجز عن الإضرار والنفع، كيف يُعقَل أن يكون إلهاً. وتغطية لهذا التفسير، قال البيضاويّ: إنّ عيسى وإن ملك هذا الامتياز بتمليك الله إيّاه، لا يملكه من ذاته.

ونحن نقول: لو كان المسيح مجرّد العبد لسلَّمنا بأنّه لا يملك من ذاته ضرّاً ولا نفعاً. ولكنّ المسيح كما قال إشعياء النبيّ: "ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبديًّاً رئيس السلام" (إش9: 6). ونحن نشكره لأنّ رسالته لم تكن للضرر ولا للنفع المادّيّ. بل كانت رسالة خلاص، والقرآن نفسه قال إنّه جاء "رحمة للعالمين". وقد تحققت هذه الرحمة فى كفارته، حيث التقى العدل بالرحمة (مزمور 85: 10).

ب – إنّ مذهب النصارى يقول إنّ اليهود صلبوه ومزّقوا أضلاعه. ولمّا عطش، وطلب الماء منهم، صبّوا الخلّ في منخريه. ومَن كان في الضعف هكذا، كيف يُعقَل أن يكون إلهاً؟!

ج – إنّ إله العالم يجب أن يكون غنيّاً عن كلّ ما سواه. ويكون كلّ ما سواه محتاجاً إليه، فلو كان عيسى كذلك لامتنع كونه مشغولاً بعبادة الله تعالى. لأنّ الإله لا يعبد شيئاً، إنّما العبد هو الذي يعبد الإله. ولمّا عُرف بالتواتر كونه كان مواظباً على الطاعات والعبادات، علمنا أنّه إنّما كان يفعلها لكونه محتاجاً في تحصيل المنافع، ودفع المضارّ إلى غيره. ومَن كان كذلك، كيف يقدر على إيصال المنافع إلى العباد، ودفع المضارّ عنهم؟ وإذ كان كذلك كان عبداً كسائر العبيد. فالمسيح أتخذ جسداً حقيقياً بكل المعانى، وعاش وسطنا كإنسان، ولكنه فى هذا المظهر الفقير كان الغنى الذى لا يحتاج البشر، لكنه جاء متواضعاً إلى أرضنا ليتواصل معنا، كالملك المتنازل الذى يملك كل شئ وسلطانه يملأ كل ملكوته حتى أثناء تنازله لا يتخلى عن سلطانه، وحتى لو لم يدرك العبيد ذلك. وكون الملك مواطناً لا يجعله ليس الملك، فهو الملك حتى أثنا تنازله، ومازال له كل سلطانه مع أنه يبدوا كمواطن عادى. (وسنتناول تجسد كلمة الله باختصار فى نهاية هذا الكتاب، راجع أيضاً كتاب "شبهات وهمية حول الكتاب المقدس").

رابعاً: لاهوت المسيح في الإسلام

لعلّ الخلاف الأكبر في الحوار بين المسيحيّة والإسلام، هو القائم على اعتقاد المسيحيّين بألوهيّة المسيح، الأمر الذي يحسبه القرآن كفراً. وقد اعترض عليه بعدّة آيات أبرزها أربع وردت في سورة المائدة، وآية خامسة في سورة النساء، وسادسة فى الأنعام.

1– "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً" **(سورة المائدة 5: 17).**

يقول الرازيّ في شرح هذه الآية إنّ فيها سؤالاً، وهو أنّ أحداً من النصارى لا يقول إنّ الله هو المسيح ابن مريم. فكيف حكى الله عنهم ذلك، مع أنّهم لا يقولون (ذلك)؟ وجوابه: إنّ كثيرين من الحلوليين (الذين يؤمنون بالفلسفة الحلوليّة) يقولون إنّ الله تعالى قد يحلّ ببدن إنسان معيّن أوفي روحه.

وإذا كان كذلك فلا يبعد أن يُقال: إن قوماً من النصارى ذهبوا إلى هذا القول. بل هذا أقرب ما يذهب إليه النصارى. وذلك لأنّهم يقولون: إنّ أقنوم الكلمة اتّحد بعيسى (كلمة أقنوم سيريانية الأصل وتعنى شخص مختلف عن غيره).

فأقنوم الكلمة، إمّا أن يكون ذاتاً أو صفة. فإن كان ذاتاً، فذات الله تعالى قد حلّت في عيسى، واتّحدت بعيسى. فيكون عيسى الإله، على هذا القول. وإن قلنا الأقنوم عبارة عن الصفة، فانتقال الصفة من ذات إلى ذات أخرى غير معقول.

ثمّ بتقدير انتقال أقنوم العلم عن ذات الله تعالى إلى عيسى، يلزم خلّو ذات الله من العلم. ومَن لم يكن عالماً لم يكن إلهاً. وحينئذٍ يكون الإله عيسى على قولهم. فثبت أنّ النصارى، وإنْ كانوا لا يصرّحون بهذا القول، إلاّ أنّ حاصل مذهبهم ليس إلاّ ذلك.

ثمّ أنّ الله سبحانه، احتجّ على فساد هذا المذهب بقوله: "فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ"، **فهذه الكلمة بحسب رأي المفسّرين تعني أنّ عيسى مُشَابِه (مُشاكِلٌ) لِمَن في الأرض، في الصورة والخلقة والجسميّة والتركيب، وتغيير الصفات والأحوال.**

2- "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ . إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ" **(سورة المائدة 5: 72).**

قال الإمام الرازيّ في شرح هذه الآية: "**إنّ الله لمّا استقصى الكلام مع اليهود، شرع ههنا في الكلام مع النصارى، فحكى عن فريق منهم أنّهم قالوا: إنّ الله تعالى حلّ في ذات عيسى، واتّحد بذات عيسى".**

وقال المفسرون: هذا قول اليعقوبية، لأنه يدحضه قول النسطورية الذي كان شائعاً في كنائسهم، نقلاً عن المسيح: "الله ربي وربكم"،عن "إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا 17:20).

ولكن لا يُفهم من هذا ما فهمه بعض المفسرين أن الله حَلَّ في ذات عيسى، واتحّد بذات عيسى. بل ليس لعيسى ذات غير ذات كلمة الله. فليس هناك ذاتان بل ذات واحدة تجسّدت أي تدرعت بجسد، وهذا القول بعيد كل البُعد عن مذهب الحلولية والحلول، و بعيد أيضاً عن مذهب الاتحّاد بين ذات خالقة وذات مخلوقة.

3 – "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" **(المائدة5:73). ينطلق البعض من هذه الآية الأكثر شهرة، فيتّهم المسيحيّين بأنّهم يعبدون ثلاثة آلهة (الله ومريم وعيسى) وتكرر الأنعام 6: 101 نفس الفكرة.**

ويستعرض الرازيّ عقيدة النصارى، فيقول: "حكوا عن النصارى أنّهم يقولون جوهر واحد، ثلاثة أقانيم ، آب وابن وروح القدس. وهذه الثلاثة إله واحد، كما أنّ اسم الشمس يتناول القرص والشعاع والحرارة. وعنوا بالآب الذات، وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة. وأثبتوا الذات والكلمة والحياة. وقالوا:

إنّ الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى، اختلاط الماء بالخمر أواختلاط الماء باللبن. وزعموا أنّ الآب إله، والابن إله والروح إله".

قال بعض المفسرين إنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى "آلهة ثلاثة"، **والذي يؤكد ذلك قوله** "أأَنْتَ قُلتَ لِلنَّاس اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟". **فقوله:** "ثالث ثلاثة" **أي أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة. لذلك يرد عليهم بالقول:** "وما من إله إلا إله واحد".

ويختم الرازي شرحه بقوله: " واعلم أنّ هذا معلوم البطلان ببديهيّة العقل. فإنّ الثلاثة لا تكون واحداً والواحد لا يكون ثلاثة". ويقول المسيحيون: من حيث الجوهر: نعم. ومن حيث الخواص والصفات: لا، فالمسيحيون يوّحدون جوهر الله، ويثلثون خواصه الذاتية (فهي صلات ذاتية). وليس هذا جعل الثلاثة واحداً.

4 - "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، أأَنْتَ قُلتَ لِلنَّاس اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ قَال: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ. إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ" **(المائدة 5: 116).**

[إن تأليه العذراء مريم مع المسيح (دون الله) لم يقل به أحد من المسيحيين على الإطلاق، ولا تأليه فى المسيحية، لأن تأليه مخلوق مع الله شرك وكفر].

ويجد الرازي في هذا القول مسائل:

المسألة الأولى: إنه معطوف على قول الله: "يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك"، فهو يذّكره هنا بوجاهته يوم القيامة .

المسألة الثانية: إن الله وهو علاّم الغيوب كان عالماً بأن عيسى لم يقل ذلك. فليس لائقاً بعلام الغيوب أن يسأله. فلماذا يخاطبه؟ إن قلتم إن الغرض منه توبيخ النصارى وتقريعهم، فنقول: إن أحداً من النصارى لم يذهب إلى القول بألوهية عيسى ومريم من دون الله، فكيف يجوز أن ينسب هذا القول لهم ، مع أن أحداً لم يقل به؟ الجواب على السؤال الأول: إنه استفهام على سبيل الإنكار. والجواب على السؤال الثاني: إن الإله هو الخالق. والنصارى يعتقدون أن خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم، هو عيسى، والله ما خلقها البتة. وإذا كان كذلك فالنصارى قد قالوا إن خالق تلك المعجزات هو عيسى ومريم، والله تعالى ليس خالقها، فصحَّ أنهم أثبتوا في حق بعض الأشياء كون عيسى ومريم إلهين له. مع أن الله تعالى ليس إلهاً، فصح بهذا التأويل هذه الحكاية والرواية [ومعروف أن احداً من المسيحيين لا يقول بذلك].

وعلى أي حال فقد اختلف مفسرو القرآن في تحديد الوقت الذي فيه طرح الله هذا السؤال على عيسى. فالسدي مثلاً يقول: "إن الله لما رفع عيسى ابن مريم إليه سأله : أأَنْتَ قُلتَ لِلنَّاس اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟". **أما قتادة فيقول: "إن السؤال لم يُطرح بعد، وإنما سيطرح في القيامة". ويوافقه في الرأي ابن جرير وميسرة، استناداً للمائدة 5: 109 و119 (راجع تفسير ابن كثير). ويقول البيضاوي:** "إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟" **صفة لإلهين أو صلة** "اتَّخِذُونِي". **ومعنى** "دون" **إمَّا المغايرة أي عبادتهما مع الله، وإمّا القصور، أي عبادتهما بلا الرب، فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة، وإنما زعموا أن عبادتهما توَّصِل إلى عبادة الله عز وجل، وكأنه قيل: "اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ" متوصلّين بنا إلى الله تعالى".**

5- "يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا ا لحَقَّ. إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرَوُحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَة. ا نْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ. إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ" **(سورة النساء4: 171). قال أبو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية: "يا أهل الإنجيل من النصارى لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق ... انتهوا أيها القائلون. الله ثالث ثلاثة. عما تقولون من الزور**

والشرك بالله، فإن الانتهاء عن ذلك خير لكم من أن تقولوه، لما لكم عند الله من العقاب العاجل لكم على قولكم، ذلك إن أقمتم عليه ولم تنيبوا (ترجعوا) إلى الحق الذي أمرتكم بالإنابة إليه، والأجل في معادكم".

وقال البيضاوي: "أي الآلهة ثلاثة: الله والمسيح ومريم، ويشهد عليه قوله: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ - أو الله ثلاثة: إن صح أنهم يقولون: "الله ثلاثة أقانيم، الآب والابن والروح القدس. ويريدون بالآب الذات، وبالابن العلم، وبروح القدس الحياة". ونقول: وإن صَحَّ أن النصارى يعنون بالآب الذات وبالابن العلم وبالروح القدس الحياة"، فذلك لا يدل على تعدد الذات الإلهية، لأن العلم والحياة في الله هو ذات الله بعينها.

وقال الرازي: قوله "ثلاثة" خبر مبتدأ محذوف. ثم اختلفوا في تعيين ذلك المبتدأ على وجوه:

(1) لا تقولوا "الأقانيم ثلاثة" .

(2) آلهتنا ثلاثة كما قال الزجاج مستشهداً بالمائدة 5: 73.

(3) قال الفرّاء: "هم ثلاثة" كقوله: "سيقولون ثلاثة"، وذلك لأن ذكر عيسى ومريم مع الله، بهذه العبارة يوهم كونهما إلهين. ثم يفسر رأيه "الأقانيم الثلاثة "أي ولا تقولوا" إن الله واحد بالجوهر ثلاثة بالأقانيم "[!] وأعلم أن مذهب النصارى مجهول جداً، والذي يتحصَّل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاث، إلا أنهم إن سموها صفات فهي في الحقيقة ذوات قائمة بأنفسها.

فلهذا المعنى قال: "ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا"، فأما إن حملنا الثلاثة على أنهم يثبتون صفات لا يمكن إنكاره، وكيف لا نقول ذلك وإنَّا نقول: هو الله الملك القدوس العالم الحي القادر. ونفهم من كل واحد من هذه الألفاظ غير ما نفهمه من اللفظ الآخر، ولا معنى لتعدد الصفات إلا ذلك. فلو كان القول بتعدد الصفات كفر لزم رد جميع القرآن. ولزم رد العقل من حيث إنا نعلم بالضرورة أن المفهوم من كونه تعالى عالماً غير المفهوم من كونه تعالى حيَّاً". وقول الرازي: "إن مذهب النصارى مجهول جداً" قول غريب، فهو يعرفه بدليل قوله: "أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاثة".

فالفكر المسيحي لا يناقض التوحيد. ولا يمكن تفسيره على أساس (ثلاثة آلهة)، فليست الأقانيم ثلاثة ذوات قائمة بأنفسها، بل هي علامات جوهرية قائمة بالذات الإلهية الواحدة، وهذا ممكن من قوله: "إن حملنا الثلاثة على أنهم يثبتون صفات ثلاثة فهذا لا يمكن إنكاره".

الزمخشري (في تفسير الكشّاف) والبيضاوي: وقولهما يتفق مع الرازي في وصف مذهب النصارى أنه: "جوهر واحد، ثلاثة أقانيم: أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس، وإنهم يريدون بأقنوم الآب الذات، وبأقنوم الابن العلم، وبأقنوم روح القدس الحياة". فمقالة "الثلاثة" أوالثالوث أوالتثليث لها وجه مقبول ينسجم مع التوحيد الصارم، ولها وجه يكاد ينقض التوحيد ويعني تعدد الآلهة.

وما نهاهم القرآن عنه: "ولا تقولوا ثلاثة". لأن بعض نصارى العرب فهموا التثليث المسيحي على غير حقيقته، فمالوا به إلى تعدد الآلهة أو تعدد الذات الإلهية، ونسبوا لله استيلاد عيسى من مريم، وهو ما يطلق عليه "ثالوث المريميين".

فالمشكلة المعقّدة في الإسلام هو الاعتقاد بأن التثليث يعني ثلاثة آلهة، الله والمسيح ومريم. والمسيحية مدى أجيالها نادت، سواء كان قبل الإسلام أم بعده، أن كلمة تثليث بهذا المعنى ليست واردة، إنها أوهام أهل البدع الذين نبذتهم الكنيسة وشجبت البدع التي اخترعوها. فالتصقوا بعرب الجاهلية، ومنهم أخذ الإسلام الفكر المشوه عن المسيحية. (والرجوع إلى كتاب "الله" في

المسيحية، وفصل "الأقانيم"، قد يساعد على فهم العقيدة المسيحية، التي تبتعد كثيراً عن مثل هذه الأفكار وسنورد توضيحاً للثالوث الصحيح).

خامساً: ناسوت المسيح في الإسلام

يتناول هذا الجزء كون المسيح عبد وأنه مثل أدم:

1- عبد لا رب: كقول القرآن بلسان المسيح :"إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ ، وَأَوْصَانِي بِا لصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً، وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً" (مريم19: 30-32).

جــاء في التفسير الكبير للإمام الرازي في كلمة "عَبْدُ اللَّهِ": إن الذي اشتدت الحاجة إليه في ذلك الوقت إنما هو نفي تهمة الزنا عن مريم. ثم أن عيسى لم ينص على ذلك، وإنما نصَّ على إثبات عبودية نفسه، كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى أوْلى من إزالة التهمة عن الأم . إن التكلم بإزالــة هذه التهمة عن الله يفيد إزالة التهمــة عن الأم، لأن الله لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجــة العــاليــة والمرتبــة العظيمــة.

ثم يُعلِّق الرازي على اعتقاد النصارى بلاهوت المسيح، فيقول: "إن مذهب النصارى متخبط جداً، فقد اتفقوا أن الله سبحانه وتعالى ليس بجسم ولا متحيز، ومع ذلك فإنا نذكر تقسيماً يبطل مذهبهم على جميع الوجوه. فنقول: أما إنْ يعتقدوا كونه متحيزاً أبطلنا قولهم على حدوث الأجسام. وإن اعتقدوا أنه ليس متحيزاً فحينئذ يبطل قولهم من أن الكلمة اختلطت بالناسوت اختلاط الماء بالخمر، وامتزاج النار بالفحم. لأن ذلك لا يُعقل إلا في الأجسام".

والفكر المسيحي بالنسبة لشخص المسيح قائم على حقيقتين تحملان سراً لا يدركه الإنسان العادى (فهو يحتاج إلى قوة روحية من الله 1كورنثوس3:12).

1 - إن المسيح بصفة كونــه ابن مريم، هو عبد الله. وهــذا التــــعبير ورد في التوراة: فــقد جــاء في (إشعياء 13:52و11:53) "هُوَذَا عَبْدِي [كإنسان] يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدّاً... وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَــرِّرُ كَثِيــرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا".

2 - إن صفة (عبد) لا تستطيع أن تنفي القول القرآني بأنه"كَـلِمَتُهُ أَلقَـاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرَوُحٌ مِنْه".

والمتأمل بـــعمق في هذا النص الــقرآني المزدوج، يلاحظ من خلالــه ما يوافق إعــلان بولس أن "يسوع صار من نسل داود من جهة الجسد. وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات: يسوع المسيح ربنا" (رومية 4،3:1) .

3 - والقرآن يلقب المسيح بالكلمة - والكلمة هُنا مسمى مذّكر عاقل، قــــائم بذاته فقال: "اسمه" ولم يقل: "اسمها" مع أن الكلمة مؤنث، دلالة على أن هذا الكلمة ليس لفظاً، بل شخصاً قائماً بذاته، وتتضح هنا حقيقتان هامتان:

(أ) كل ما يتــعلّق بذات الله تــعالى أزلي، فلا بد أن يكون كلمــة الله أزليــــاً، وهذا واضح من القول: "أَلقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ"، أي أن هذا الكلمة كائن من قبــل أن يُلقى إلى مريم. فالمسيح هو ذات كلمة الله، وبــعبارة أخــرى هــو ذات الله، لوحدة الطبيعــة الإلهية، وبحكم أن الكلمة صدر من الله بــغير طريق الخلــق والإبداع، فالمسيح أزلي، (هو الأزلي مع الآب منذ الأزل) (يوحنا 1:1).

(ب) تسافر كلمة الإنسان المحدود آلاف الأميال، وتظل في عقلــه في نفــس الوقت (دون انفصال). فما بالك بكلمــة الله الــغــير محدود!

4 - ويُلقِّب الــقرآن المسيح بأنه روح منه، وفيها يقول الرازي:

(أ) إنــه كان سبباً لحياة الخلق في أديانــهم. ولما كان كذلك وُصِفَ بأنــــه روح.

(ب) "وَرَوُحٌ مِنْهُ" أي رحمة منه، فعيسى كان رحمة من الله على الخلق من حيث أنه كان يرشدهم إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم. [وإننا نتساءل: هل لُقِّب أي شخص آخر بأنه رحمة من الله ؟ لقد تحققت في المسيح مصالحتنا مع الآب السماوى (2كورونثوس 5: 17)، فالصالح العدل مع الرحمة (مزمور85: 10)].

(جـ) قوله "روح" أدخل التكبير في هذا اللفظ لإفادة التعظيم، كان المعنى أنه روح من الأرواح الشريفة العالية القدسية. والبيضاوي يقول: "وَرَوُحٌ مِنْهُ"، أي ذو روح صدر منه لا بتّوسط ما يجرى مجرى الأصل والمادة له. وقيل سُمِّي روحاً، لأنه كان يحيي الأموات والقلوب.

فهل كان الله قبل أن يُبدع هذا العالم ذا روح وكلمة، أم لم يكن كذلك؟ فإن قيل: "له روح وكلمة منذ الأزل" سألنا: أهما ذات الله أم غيره؟ فإن قيل: "غيره"، سألنا: إذاً فمع الله اثنان. ومن كان معه غيره فهو ليس واحداً أحد. وهذا باطل. وإنْ قلنا إن الروح والكلمة مخلوقان وليسا موجوديْن منذ الأزل، كان هذا مناقضاً للاعتقاد البديهي في الله تعالى، من أنه الكائن الأزلي الحي الناطق، الروح جوهر حيّ، والكلمة كُنْهُ الناطق. فالروح والكلمة هما ذات الله، لهما صفاته كلها دون تعدد ولا انفصال. فلا يمكننا أن نقول إن ذات الله حُرمت من النطق والحياة حيناً من الزمن. فروح الله لابد وأن يكون أزلياً كالذات الإلهية، والأزلية تخص الله فقط. وكلمة الله كائن أزلي قبل حلوله في مريم. [فلا مجال للشك في أن المسيح أزلي].

(5) ويلقب القرآن المسيح بأنه "الْمَسِيحُ عِيسَى ا بْنُ مَرْيَمَ".

قال الرازي: إنه سُمّي المسيح لأنه مُسِح من الأوزار والآثام، ولأن جبريل مسحه بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صوناً له من مسّ الشيطان. ويقول المسيحيون أنه سُمّي "ابْنُ مَرْيَمَ" بسبب ميلاده العذراوي، تحقيقاً للنبوة الأولى عن مجيئه، إنه نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية (تكوين 15:3). وتحقيقاً لنبوة إشعياء: "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (ومعناه: الله معنا)" (إشعياء 14:7).

ونقول إنه: [إنْ كان قد نُسب إلى مريم كأُمه- فلمن ننسبه كأب له؟ ونجيب: ننسبه لروح قدس الله، فهو المسيح ابن الله، كما أعلن جبرائيل الملاك لأمه العذراء: "هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى ... فلذلك القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله" (لوقا 32:1،35)].

اسم عيسى:

الأصل العبرى لكلمة يسوع العربية هى يشوع ولكن كلمة يشوع لم تنقل إلى عرب الجزيرة بهذه الصورة. لقد كتب العهد القديم باللغه العبرية وترجم الى اللغة اليونانية وقت كتابة الإنجيل وعرفت كلمة يشوع العبرية بكلمة "ايسوس" اليونانية، والكلمات اليونانية تصرف فى المنادى باسم إيسو، وهكذا انتشرت كلمة أيسو وايسوس. وتستخدم كلمة "عيسى" فى ترجمة الإنجيل إلى الفارسية والتركية. وهكذا فإن عيسى العربية هى من "ايسو" اليونانية، التى هى من يشوع العبرية، والتى معناها "مخلص". وهكذا تحّور اسم "يسوع" إلى "عيسى". ويقول الإنجيل "فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (متى 1: 21)، أو يتميز السيد المسيح عن البشر بأنه وحده الذى يخلص الناس من الخطية.

اسم "ابن مريم":

يقول أحد الأساقفة المعاصرين إن من عادة الشرقيين أن ينسبوا الابن الى أبيه لا أمه. لذا عندما يسمى القرآن المسيح أنه ابن مريم، فإن هذا يدل على أمر هام وهو إعلانه تأييد المسيحية فى إيمانها بميلاد السيد المسيح بدون زرع بشر. لذا فهذا الاسم يرفع السيد المسيح فوق البشر لأنه وحده الذى ينفرد بهذا

الميلاد المعجزى. قال الرازى مستجمعاً كل التفاسير الإسلامية، قال ابن عباس: إنه سمى مسيحاً لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا وبرئ من مرضه وقال غيره لأنه مسح من الأوزار والآثام.

ويضيف أيضاً لقد فضل الله بنى إسرائيل علي العالمين "يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم بها وأنى فضلتكم على العالمين" (البقرة2: 47)

وفى بنى اسرائيل فضل الله آل عمران "إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل أبراهيم وآل عمران على العالمين" (آل عمران 3: 33). وفى آل عمران فضل الله بنت عمران (مريم) على نساء العالمين.

وهكذا فإن الله فى نظر القرآن ما فضل بنى إسرائيل على العالمين إلا بسبب آل عمران وما فضل آل عمرآن إلا بسبب المسيح ابن مريم ولهذا فقدَ بنو إسرائيل أفضليتهم بعد مجئ السيد المسيح ورفضهم إياه وصاروا فى نظر القرآن "شر البرية" (البيّنة 98: 6). فهم كانوا مفضلين فقط الى أن جاء السيد المسيح من نسلهم. لأنه بسبب المسيح ولأجله كانت كرامتهم ولكن عندما قاوموا السيد المسيح فقدوا هذه الكرامة؟

2 – <u>مثل عيسى كمثل آدم</u>: كقوله: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ" (آل عمران3: 59). قال الرازي: "في الآية إشكال، وهو أنه كان ينبغي أن يقول كن فكان".

وهناك اجتهادات للرد:

جاء في جامع البيان لأبي جعفر <u>الطبري</u> أن الله قال: "يا محمد، أخبر نصارى نجران أن شبَه عيسى في خلقي إياه من غير فحل كشبه آدم، الذي قلت له كن فيكون، من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى. فليس خلقي عيسى من أمه من غير فحل بأعجب من خلقي آدم".

ويقول ابن كثير عن محمد بن سعد، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: "جاء رهط من أهل نجران، قدموا على محمد، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا لمحمد: ما شأنك تذكر صاحبنا ؟ فقال من هو؟ فقالوا عيسى، تزعم أنه عبد الله. فقال محمد أجل إنه عبد الله. فقالوا: رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم ما أن خرجوا من عنده. فجاءه جبريل بأمر ربنا السميع العليم، فقال: "قل لهم إذا أتوك": "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ" .

وفي رواية أخرى (عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن المفضل، عن السدي)، قال: "لما بُعث محمد وسمع به أهل نجران، آتاه أربعة من خيارهم: العاقب والسيد وماسرجس وماريجز، فسألوه ما يقول في عيسى؟ فقال هو عبد الله وروحه وكلمته. فقالوا: لا هو الله. نزل من ملكه، فدخل في جوف مريم، ثم خرج منها". فهل رأيت قط إنساناً ولد من غير أب؟ فأنزل الله عز وجل "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ". وفي رواية ثالثة عن القسام، عن ابن جريج، عن عكرمة، قال: "بلغنا أن نصارى نجران قَدَمَ وفدهم على محمد، فيهم العاقب والسيد، فقالا: يا محمد لِمَ تشتم صاحبنا؟ فقال: من هو صاحبكما؟ قالا: عيسى ابن مريم. تزعم أنه عبد. قال: أجل إنه عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. فغضبوا منه، وقالوا: "إنْ كنت صادقاً فأرنا عبداً يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتصير طيراً، لكنه إله". فسكت حتى أتاه جبريل فقال: "يا محمد لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ". فقال محمد: "ياجبريل إنهم سألوني أن أخبرهم بمثل عيسى" فقال جبريل: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ".

كان يمكن القول إن مثل مريم كمثل آدم، فكلاهما نفخ الله فيه. عن آدم"نَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُّوحي" (الحجر15: 29). وعن العذراء "فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا" (الأنبياء21: 91). ولم يؤلّه أحدُ آدمَ ولا العذراء مريم.

ومن المعروف أن آدم خُــلق من طين، بغير أب ولا أم. وكان يجب أن يوجد كذلك لعدم وجود آباء ولا أمهات! ولكن ما الحكمة أن يجيء المسيح بدون أب بشري مع أن الأرض عامرة بالآباء الــوالدين والأبنــاء المولودين؟ – لا بد أن نــفتش عن سبب آخر من إعــلان الله لنا بالوحي المقدس. لنفهم قصد الله من مجيء كلمته إلى العالم في جسد بشري . ولكننــا لا نقدر أن نقول: "إن مثل المسيح كمثل آدم".

ولو كان المسيح مثل آدم لأُطــلق على آدم لقب "كَلِمَةُ اللَّهِ " كمــا لُقِّــب المسيح. ولا يمكن أن يكون آدم الذي عصى ربــه مثل المسيح الذي لم يخطئ أبداً. الفرق واضح بين المسيح الذي تـــفَّرد دون ســائر الرســل والأنبيــاء بوصفــه "كَلِمَةُ اللَّهِ".

قال المتصوف المصرى ذي النون: "عرفت ربي بربي، ولــولا ربـــي مــا عرفت ربي"، وهذا ما يؤكده الكتاب المقدس في (1كورنثوس12: 3).

بماذا تــفرَّد المسيح عن سائر البشر؟

لقد تفرد المسيح بأمور عديدة نذكر منها ما يلى:

1– معجزة الميلاد العذراوي هى بداية حياته وفى نهايتها معجزة ارتفاعه حياً وبين المعجزتين استجمع الــمعجزات البــاهرات. كما قال ابن عباس فى تفسير ابن كثير (آل عمران 3:49، المائدة 5: 110).

2– معصوم في سيرته كما في رسالته وكان لابد أن يُجَرّب (متــى 4، لوقــا4)، فهو مُجرب فى كل شئ بلا خطية (كما في 93 آية قرآنية).

3–هــو الكلمة والمتكلم، الرسالــة والرسول، فهو كلمــة الله (يوحنــا 1:1) لوجوس (Logos) الأزليّ، فهو واحد مع الآب في الجوهر.

4– هو عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا: فكيف نقول إنه أقرب إلينا من حبــل الوريد؟! إن اسمه عيسى و يكرر 25 مرة (أى يسوع ومعناه المخلــص). الله تنازل (فيلبي 2: 5–8) آخذاً صورة عبد (مثــل: الملــك المتنــازل). والملــك المتنازل يظل فى كامل سلطانه، وسلطانه يملأ ملكوتة، حتــى أثنــاء تنازلــه (وجوده فى السوق مثل واحد من الرعية) يظل فى كامل سلطانه مع أن مظهرة المتواضع لا يوحى أنه الملك (مع فارق التشبيه، لأنه ليس كمثــل الله شــئ)، يمكننا استخدم الأمثلة أو التشبيهات لتقريب الفكرة لأذهاننــا، ويظــل الفّعــال الأصيل هو روح الله القدوس الذى يقنعنا بحقيقة منْ هو المسيح (1كورنثوس 12: 3).

5–المؤَّيد بالروح القدس: عند الحبل به بالروح القدس (جبريل) حتى لو كــان روحاً مقدسة فقد تفَّرد بذلك. هو الذي أرسل البــاراقليط * (يوحنــا 14: 16–17، 26 و15: 26). أرسل الروح (أعمال1: 8)، وتأثيره شاملاً ودائماً.

6–أحب الخطاة، لم يزجر فقيراً أو مسكيناً، بل رحَّــب بــالفقراء والمــساكين وكان يصادقهم، فهو الراعي الصالح. وعندما جاء إليه الفقير المولود أعمــى خلق له عينين من الطين (يوحنا 9).

7– لم يتردد مرة ولم يعتذر أو يُــَغير كلامه أو ينسخه، لم يسحب شيئاً قالــه، بل قال "السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يــزول" (يوحنــا3: 34 مــع مرقس13: 31).

8– لم يُرجِئ سائلاً سأله: بل أجاب على أعقد وأعوص الأسئلة بأحكم الأجوبة. لأنه علم ما في القلوب، فأجاب علي السؤال الحقيقي، أمثلة عديدة فى يــوحنا

3 أجاب نيقوديموس عن الملكوت، فصحح المفاهيم. مثال لذلك: أعطِ ما لقيصر لقيصر، للإجابة عن أيجوز أن تُعطى جزية لقيصر؟ وغيرها.

9- علَّمَ بسلطان وفى الموعظة على الجبل (متى 5-7) قدم أعظم التعاليم، وعاش تلك التعاليم، فهو المعصوم فى سيرته كما فى رسالته (مع أنه ليس كاملاً سوى الله) ... وأشبع جوع الناس الروحيّ، وليس الجسديّ فقط.

10- لم يُرجِئ إجراء معجزة كإبرأ الأكمه (يوحنا9)، والأبرص وإقامة الميت. ولم يقل: "أمرها من عند ربي".

11- لم يحتج للاستغفار، بل سأل: منْ منكم يبكتني علي خطية؟ ولا احتاج للتشفع في والديه: أمه سيدة نساء العالمين، كما في (آل عمران 3 : 42).

الأب: وهو الآب السماوي ليس مجازاً، بل بالحقيقية هو ابن الله.

وهى ليست بنويةً جسدية على الإطلاق، ولا مجرد مجاز، بل بنويةً روحية، أصيلة أزلية أبدية جوهرية تختص بذات الله فقط.

12- لقد شقَّ التاريخ إلى ما قبله وما بعده، بل غيّر مجراه ومازال تأثيره قوياً شاملاً (كما قال المؤرخ فيليب شاف وغيره).

13- الكل ينتظره علي السحاب:

اليهود ينتظرونه كالمسيا المنتظر. ونحن ننتظره ليأخذنا للآب.

الكل ينتظرونه لأن بنزوله تُعلم الساعة، ولأنه الوحيد الذي ارتُفع حياً.

وسيأتى ثانياً بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات.

14- يظهر لمن يبحث بأمانة عن الله (كما فى ظهور المسيح أو الصليب فى رؤيا). (ارجع إلى مدخل الكلام عن المسيح فى فصل ميزات المسيح).

إن كانت النقاط السابقة مشتركة إلى حد ما بين الفكر الإسلامى والمسيحى، فإن النقاط التالية تلخص بعض الأفكار المسيحية عن المسيح:

1- ماذا يحدث لو تجسّد الله؟ ... يدخل العالم بطريقة إعجازية ... بلا خطية ... يُجرى معجزات عظيمة ويكون متفرداً ... يقول أعظم ما يقال (متى 5-7) ... تأثيره شاملاً دائماً ... يكون له سلطان علي الموت. (راجع كتاب"ثقتي في السيد المسيح").

2- المسيح أعطى البـُعد والعمق الروحي لنفس الوصايا التي في الناموس، فتحقق فيه الناموس وأكمله روحياً. فاستطاع أن يتحدى اليهود قائلاً: "منْ منكم يبكتنى على خطية" (يوحنا 8: 46).

3- تحققت كل نبواته تماماً: عن صلبه وقيامته في اليوم الثالث وحلول الروح القدس وتأسيس الكنيسة، وخراب أورشليم، (ونبوات العهد القديم تحققت فيه، فقال: "لم آتِ لأنقض بل لأُ كّمل*" بإعطاء البعد والعمق الروحي لنفس الوصايا (راجع متى 5-7) وبتقديم نفسه ذبيحة كاملة أكمل كل شئ.

4- إعلانات حواريه ورسوله عنه في الإنجيل تنساب فى سهولة ويُسر تظهر الحقيقة، فهو إله وإنسان في ذات الوقت، فهو الله الذي تجسّد (وليس العكس). له كل ما للإنسان العادي لكنه في حياته كان إنساناً كاملا، فجاع وعطش وبكي وتألم بل تجرّب، لكنه بلا خطية. وليس كاملاً إلا الله (بالإضافة لشهادة التاريخ).

5- لشروط الفادي المتجسَّد: اقرأ كتاب" هل تجسَّد الله؟" وأيضا كتاب " كفارة المسيح؟"

6- فهو الله الظاهر في الجسد لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد بإرادته الذاتية (فيلبي 2 :7) كما فى مثال الملك المتنازل.

7- كان له سلطان علي غفران الخطايا. واستحق السجود، وتقَّبله من الأبرص والمولود أعمي، وقَبِلَ إعلان التلاميذ: أنه الله الظاهر فى الجسد (من بطرس

ومن توما). وهو الحق والقيامة والحياة. فهو الطريق إلى الله. بل هو الله الظاهر في الجسد.

8- كان له سلطان علي الموت ... ولحقيقية القيامة اقرأ: "منْ دحرج الحجر؟" لفرانك موريسون الذى اجتهد لدحض القيامة، ولكن سفينة حياته أبحرت على عكس ما اشتهى فأصبحت قيامة المسيح هى الصخرة التى بنى عليها إيمانه.

9- صعوبة التجسّد حتى على الشيطان، أو الملائكة (1تيموثاوس3 :16). اقرأ كتاب "تجسّد الكلمة" (اثناسيوس الرسولي الطبعة التاسعة التى نقحها المؤلف*).

10- أمام هذه الحقائق لنا الحق أن نقبل الاحتمال أنها إعلانات صادقة، فنقبله في القلب بعمل الروح القدس (1كورنثوس12 :3) أو نرفضه ولا نصدّقه. ارجع للاحتمالات الأربعة (نفس فكرة الاحتمال المثلث لكلايف س. لويس كما وضح دكتور القس منيس عبد النور عن فكرة أوغسطينوس فى نهاية هذا الكتاب). أيضاً ارجع لكتاب "ثقتي في السيد المسيح" لجوش مكدويل.

الفصل الثانى

هل الله واحد أم ثالوث؟

قلنا سابقاً لعل الخلاف الأكبر في الحوار بين المسيحيّة والإسلام، هو الخلاف القائم على الاعتقاد بألوهية المسيح، الأمر الذي يحسبه الإسلام كفراً. وقد اعترض بعض مفكري الإسلام على هذه العقيدة بعدة آيات من القرآن، أبرزها أربع، وردت في سورة المائدة، وآية خامسة في سورة النساء، (وسادسة في الأنعام 6: 101 تكرر رفض ثالوث المريميين مثل المائدة 5: 73).

1- "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً" (المائدة5: 17).

2- "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ" (المائدة5: 72).

3- "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"(المائدة5: 73).

4- "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ" (المائدة 5: 116).

5-"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرَوُحٌ مِنْهُ فَأمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً" (النساء4: 171).

<u>الفكر المسيحى</u>: إن من يتأمل هذه الآيات في ضوء تفاسير علماء الإسلام يلاحظ أن هذه النصوص تحارب تعليماً يحمل معنى الإشراك بالله وتعدّد الآلهة وعبادة البشر. ولكن المسيحيّة لا تُعلّم بالإشراك ولا بتعدّد الآلهة ولا بعبادة البشر، بدليل قول المسيح: "لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ" (متى 4: 10).

لعل من يقرأ المائدة 5: 116 يتصوَّر أن المسيحيين يؤلهون مريم العذراء، وهذا غير صحيح. والواقع أن السؤال الموجَّه إلى المسيح هنا، نشأ من وجود أهل بدعة قبل ظهور الإسلام. وهم أناس وثنيون حاولوا الالتصاق بالكنيسة، فنادوا ببدعة مفادها أن مريم العذراء إلهة، ويقول المؤرّخون إنهم استعاضوا بها عن الزهرة التي كانوا يعبدونها قبلاً. وقد أطلقوا على أنفسهم

اسم (المريميين). وأشار إليهم العلاّمة أحمد المقريـزي فـي كتابـه (القـول الإبريزي، صفحة 26). وذكرهم ابن حَزْم في كتابه (الملل والاهـواء والنحـل صفحة 48). ولكن هذه البدعة بعيدة كل البُعد عن المسيحيّة. إن تأْليه العذراء مريم مع المسيح (دون الله) لم يقل به أحد من المسيحيين على الإطـلاق، ولا تأْليه فى المسيحية، لأن تأْليه مخلوق مع الله شرك وكفر كما سبق ذّكره.

وليس هناك مسيحي واحد يؤمن بها. وقد انبرى العلماء المسيحيون وقتها لمقاومة هذه الضلالة بكل الحجج الكتابية والعقلية، ولم ينتهِ القرن السابع حتى كانت قد تلاشت. وكذلك المسيحيّة لا تُعلّم بأن المسيح إله مـن دون الله، بـل تؤمن بأن الآب والابن إله واحد، بلا تعدّد ولا افتراق. وقد أكّد المـسيح ذلـك بقوله: "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ... أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ" (يوحنا10: 30، 11:14).

أما قول القرآن: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ"، والذي يستند عليه أعداء المسيحيّة فيمكن أن تكون، قد قيلت بالمريميين أو بطائفة (المرقونيين) الذين لفظتهم الكنيسة وحرمت أتباعهم، لأنهم علَّموا بتثليـث باطـل، ونـادوا بثلاثة آلهة وهم:

(أ) عادل، أنزل التوارة (ب) صالح، نسخ التوراة (ج) شرير، وهو إبليس.

كما أن الإسلام في نصوصه هذه، حارب طائفتي المانوية والديصانية اللتين تقولان بإلهين أحدهما للخير وهو جوهر النور، والثاني للـشر وهـو جـوهر الظلمة. إذاً فالإسلام لم يحارب عقيدة الثالوث المسيحيّة الصحيحة، كما يتوهَّم البعض. ولهذا لا نعتبر أن آيات القرآن المقاومة لتعدد الآلهة كانـت موجَّهـة ضد المسيحيّة. وحين نتتبع هذا الموضوع في الكتب الإسلامية، نرى أن علماء المسلمين بحثوا في عقيدة الثالوث وهذه هي تعليقاتهم على قول القـرآن "وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ" (النساء4:171).

1- تفسير الرازي:

صفات ثلاث–فهذا لا يمكن إنكاره. (الرازي وهو صاحب التفسير الكبير. ولكنه يتعرّض لصيغة التثليث المسيحي ويطبق عليها تكفير القرآن للثلاثة، لتفـسير مختلف عن التفسير المسيحى الصحيح): قوله " ثَلاثَةٌ" خبر مبتدأ محذوف. ثـم اختلفوا في تعيين ذلك المبتدأ على وجوه:

الأول: ما ذكرناه، أي ولا تقولوا الأقانيم ثلاثة. المعنى لا تقولوا: إن الله سبحانه هو واحد بالجوهر، ثلاثة بالأقانيم. وأعلم أن مذهب النصارى مجهول جداً، والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاث. إلاَّ أنهم سمُّوها صفات، وهي في الحقيقة ذوات قائمة بأنفسها.

فلهذا المعنى قال: ولا تقولوا: ثلاثة انتهوا فأما إن حملنا "الثَّلاثَةٌ" على أنهم يُثبتون صفات ثلاث فهذا لا يمكن إنكاره. وكيف لا نقول ذلك، ونحن نقول: هو الله الملك القدوس ونفهم من كل واحد من هذه الألفاظ غير ما نفهمه من اللفظ الآخر. ولا معنى لتعدد الصفات إلاَّ ذلك. فلو كان القول بتعدّد الصفات كفر، لزم ردّ جميع القرآن، ولزوم ردّ العقل، من حيث نعلم بالضرورة أن المفهوم من كونه تعالى عالماً، غير المفهوم من كونه حيّاً.

الثاني: آلهتنا ثلاثة، كما قال الزجّاج مستشهداً بآية المائدة (5: 116).

الثالث: قال الفرّاء: "هم ثلاثة" كقوله: سيقولون "ثلاثة". وذلك لأن ذكـر عيسى ومريم مع الله بهذه العبارة يوهم كونهما إلهين.

ويعلّق كاتب حكيم يُدعى عبد الفادى، الذي اقتبسنا منه قوله: "ونحـن لا يعنينا التفسير اللغوي للمبتدأ المحذوف. إنما يهمنا تفـسير الـرازي لمقالـة

المسيحيين في التثليث. فهو يرد الأقانيم الثلاثة لأنها في الحقيقة ذوات قائمة بأنفسها. وهذا هو سوء فهم العقيدة المسيحيّة. فليست الأقانيم الثلاثة في الله ذوات قائمة بأنفسها، إنما ذوات قائمة في جوهر الله الواحد".

والتثليث المسيحي هو كما وصفه الرازي: أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاث. والمسيحيون يسمون هذه الصفات الإلهية الثلاث: الأبوة والبنوّة والروحانية في الله "أقانيم"، لتمييزها عن سائر صفات الله. فتلك الأقانيم الثلاثة هي صلات ذاتية كيانية - لا محض صفاتية - وهي قائمة في الجوهر الإلهي الفرد. لذلك نرّد على الرازي قوله: فأما إنْ حملنا الثلاثة - ويجب أن نحملها - على أنهم يثبتون صفات ثلاث، فهذا لا يمكن إنكاره ... فلو كان القول بتعدد الصفات كفر، لزم رد جميع القرآن، ولزم رد العقل.

فالمسيحيون يثبتون في الله ذاتاً موصوفة بصلات ذاتية كيانية ثلاث، يسمّونها الآب والكلمة والروح. هذا هو التثليث المسيحي الصحيح الذي لمحه الرازي وابتعد عنه لسبب في نفسه. وهذا ما يثبته المسيحيون من صلات ذاتية، أو صفات كيانية، في الله. فمن أنكرها لزمه ردّ القرآن، ولزمه رد العقل، لأن هذا التثليث الصحيح من صميم التوحيد.

2 - تفسير الغزالي :

وهو ينصف المسيحيّة في عقيدتها التثليثية. قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في كتابه (الرد الجميل ص 43)، يحلّل التثليث المسيحي: "يعتقدون أن ذات الباري واحدة. ولها اعتبارات:

1 - فإن اعتُبرت مقيَّدة بصفة لا يتوقف وجودها على تقدم وجود صفة قبلها كالوجود، فذلك المسمَّى عندهم بأقنوم الآب. وإنْ اعتُبرت موصوفة بصفة يتوقف وجودها على تقدم وجود صفة قبلها، كالعِلم - فإن الذات يتوقف اتّصافها بالعِلم على اتّصافها بالوجود - فذلك المسمَّى عندهم بأقنوم الابن أو الكلمة. وإنْ اعتُبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها، فذلك المسمَّى عندهم بأقنوم روح القدس. فيقوم إذن من الآب معنى الوجود، ومن الكلمة أو الابن معنى العلم [الحكمة]، ومن روح القدس كون ذات الباري [روح] معقولة له. هذا هو حاصل هذا الاصطلاح فتكون ذات الإله واحدة في الموضوع، موصوفة بكل أقنوم من هذه الأقانيم.

2- ومنهم من يقول: إن الذات، إن اعتُبرت من حيث هي ذات، لا باعتبار صفة البتة، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن العقل المجرد، وهو المسمَّى عندهم بأقنوم الآب. وإنْ اعتُبرت من حيث هي عاقلة لذاتها، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى العاقل، وهو المسمى بأقنوم الابن أو الكلمة. وإنْ اعتُبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى المعقول، وهو المسمَّى بأقنوم روح القدس.

فعلى هذا الاصطلاح يكون العقل عبارة عن ذات الله فقط. والآب مرادفاً له، والعاقل عبارة عن ذاته بقيد كونها عاقلة لذاتها، والابن أو الكلمة مرادف له، والمعقول عن الإله عبارة عن الإله الذي ذاته معقولة له، وروح القدس مرادف له. هذا اعتقادهم في الأقانيم: "إذا صحَّت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ، ولا في اصطلاح المتكلمين".

وقد أنصف الغزالي التثليث المسيحي في هذا الحكم : "والمعاني قد صحَّت، بحسب التنزيل الإنجيلي، والكلام المسيحي الذي يفصّله".

ويعلق كاتب حكيم على أقوال الغزالي فيقول: فالغزالي يشهد للمسيحيين بالتوحيد. ويشهد لهم بصحة اصطلاحهم في تفسير التثليث في التوحيد، بناءً على الاعتبارين اللذين ساقهما عنهم: الأول على اعتبار الأقانيم في الله صفات

ذاتية، في الذات الإلهية الواحدة، والثاني على اعتبار الأقانيم في الله أفعالاً ذاتية في الذات الإلهية الواحدة.

والقول الصحيح الذي يجمع الأفعال الذاتية والصفات الذاتية، في الله الواحد الأحد، كونها صلات كيانية بين الله الآب وكلمته وروحه، في الجوهر الإلهي الواحد .

3 – تفسير الزمخشري:

يقولون: هو جوهر واحد، ثلاثة أقانيم .إنْ صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون: هو جوهر واحد، ثلاثة أقانيم : أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس، وأنهم يريدون بأقنوم الآب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحياة – فتقديره (الله ثلاثة). وإلاَّ فتقديره (الآلهة ثلاثة). والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولدُ الله من مريم. ألا ترى إلى قوله: "أَأَنْتَ قُلتَ لِلنَّاس اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ! " وحكاية الله أوثق من حكاية غيره.

وقد علَّق الكاتب نفسه على تفسير الزمخشري بقوله: نعم، إن حكاية الله أوثق من حكاية غيره. لكن القرآن حكى في تلك الآية لتفسير "الثَلاثَة" مقالة بعض النصارى من جهال العرب في تثليثهم الكافر الذي كفَّرته المسيحيّة قبل الإسلام. فجاء الزمخشري وجعل من ذلك التثليث المنحرف تثليث المسيحيّة! مع أنه ينقل التثليث المسيحي الصحيح بتعبيره الصريح: "الله ثلاثة: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم". ولماذا يشك في صحة قولهم الذي يورده عنهم، وينسب إليهم قولاً كافراً هم منه براء؟ إنه لا يفهم المسيحية إذ يقول: "وحكاية الله أوثق من حكاية غيره".

4 – تفسير البيضاوي:

الله ثلاثة أقانيم :الآب والابن وروح القدس. ولا تقولوا: ثلاثة! أي الآلهة ثلاثة: الله والمسيح وأمه. ويشهد عليه قوله: "أَأَنْتَ قُلتَ لِلنَّاس: اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟"– أو "الله ثلاثة" إن صحَّ أنهم يقولون: الله ثلاثة أقانيم، الآب والابن وروح القدس، ويريدون بالآب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة .

والمسيحيون يسألون البيضاوي وأمثاله: لماذا هذا الشك من مقالتهم التي بها يجهرون؟ ولماذا الافتراء عليهم بنسبة مقالة كافرة من بعض جهال الجاهلية، إلى المسيحيّة جمعاء، وهي منها براء؟

فالبيضاوي ينقل أيضاً صيغة التثليث الصحيح ولا يكفّرها، بل يُكذِّب غيرها مثل غيره ، اعتماداً على ظاهر القرآن في ما لا يعني المسيحيّة بشيء.

مطابقة الأشعرية للمسيحيّة

الأشعرية هي مذهب أهل السنّة والجماعة في الإسلام. ومقالتها في مشكل الذات والصفات في الله، هي أصحّ تعبير لحقيقة الأقانيم الثلاثة في الله.

كانت الصفاتية تقول: صفات الله هي غير ذاته، مما يقود الى القول بقديمين.

فجاءت المعتزلة تقول: صفات الله هي عين ذاته، مما يقود إلى التعطيل في الله. وقامت الأشعرية تقول بمنزلة بين المنزلتين: الصفات في الله ليست هي عين الذات، ولا هي غيرها، إنما هي في منزلة بين المنزلتين. وكيف يكون ذلك؟ هذا سر الله في ذاته. "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلمِ إلاَّ قَلِيلاً" (الإسراء85:17).

والتعبير الأشعري، وهو قول الإسلام في الذات والصفات، أصحّ تعبير للتثليث المسيحي: إن الأقانيم الثلاثة في الله الواحد الأحد ليست مجرد صفات

ذاتية، بل صلات كيانية. ليست هي عين الذات ولا هي غيرها، إنما هـي فـي منزلة بين المنزلتين . وإذا قيل: كيف يكون ذلك؟ أُجيب بما قاله الإمام مالـك في تفسير: "الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى" (طه 20: 5). قال: "الاستواء غيـر مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة".

فإذا كان السؤال عن تعبير قرآني مجازي بدعة، فكم بالحري السؤال عن صلات الله الأقنومية في ذاته؟ لذلك يكفر من يحـوّل الكلام في الذات والأقانيم إلى عملية حسابية ، فيقول : كيف يكون الواحد ثلاثة؟ كلا ليس الواحد ثلاثة، على اعتبار واحد، وعلى صعيد واحد، إنما الله واحد في ذاته مثلث في صفاته، أو صلاته الذاتية أي أقانيمه الثلاثة. وليس في هذا ما يتعارض مع النقل الكريم، ولا مع العقل السليم. فهل هذا هو التثليث الصحيح في التوحيد الخالص؟

هل الثالوث المسيحي يناقض التوحيد؟

يقول يوسف درة الحداد إن التثليث الإنجيلي في التوحيـد الكتـابي لـيس بالتثليث المنحرف الكافر الذي يكفّره القرآن بمقالته في "الثلاثة"، وقد كفَّرتهـا المسيحيّة من قبله. لذلك فتكفير التثليث المسيحي باسم التوحيد القرآني، هـو افتراء على التوحيد وعلى القرآن ، وجـهل بالإنجيل والعقيدة المسيحيّة.

ويضيف إن التثليث المسيحي في التوحيد الخالص هو تفسير مُنزَل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية، فلا خلاف على الإطلاق بين التوحيد القرآني والتثليث الإنجيلي، في التوحيد الكتابي المتواتر في التوراة والإنجيل والقرآن. "وَلاتُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلينَا وَأُنزِلَ إِلَيكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدُ وَنَحنَ لَهُ مُسلِمُونَ"(عنكبوت29: 46)

وفى الفكر المسيحي صيغت عقيـدة التثليـث فنجـدها أولاً فـى البـسملة المسيحية: "بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، آمين".

التوحيد يفتتحها بالقول "باسم" على المفرد، ويختتمها بالتصريح "الإله الواحد" فالآب والابن والروح القدس هو الإله الواحد. فالتثليث هو كيـان الله نفـسه، لا من خارجه. والتوكيد الأول والأخير هو على التوحيد، فيكون التثليث فيه تفسيراً منزلاً لحياة الله، الحي القيوم، فى ذاته.

ونجده ثانياً فى المسيحية، التى يرددها المسيحيون أجمعون من قبل القرآن والإسلام بمئات السنين، ويستظهرها الجميع. والشهادة المسيحية تسمى أيـضاً قانون الايمان: "أؤمن بالله الواحد.... وبالرب الواحد، يسوع المسيح. من أجـل خلاصنا نزل من السماء، وتألم وقبر وقام فى اليوم الثالث على ما فى الكتـب. وارتفع إلى السماء ... وسيأتى بالمجد ليدين الأحياء، والأموات، ولا نهاية لملكه ... وبالروح القدوس، الرب المحيي".

فالشهادة المسيحية فى دستور إيمانها تقول أولاً بالتوحيد: "أؤمـن بـالله الواحد"! التى استمرت من تثنية 6: 4 إلى مرقس 12: 29-30 عنـدما قـال المسيح "الرب إلهنا رب واحد"، ثم تفصل سر الله فى ذاته بأنه الآب، والابـن، والروح القدس (والصفة تمييز له عن الأرواح المخلوقة). فما التثليث فى ذات الله سوى تفسير مُنْزل فى الإنجيل لحياة الحى القيوم فى ذاته الصمدانية. فالله فى ذاته أبوّة وبنوة وروح وحياة. ونعرف أن هذه البنوة فيـه هـى روحيـة نطقية، فالابن هو الله، لا إله إلا هو.

هذا ما أوجزه الإنجيل بحسب يوحنا فى فاتحته: "فى البدء (منذ الأزل) كان الكلمة واتخذ جسداً وسكن فى ما بيننا". ففى البشرية التى تأنس فيها، أضاف كلمة الله إلى حال الله فيه، حال بشر، وعاش كبشر، "يأكل الطعام"، "ويمشى فى

الأسواق"، "فصار فى كل شئ شبيهاً بنا، ماخلا الخطيئة". وكشف الإنجيل عن سرّ الله فى ذاته هو فضل له ككتاب مُنزل.

فى الله الواحد الأحد روحه أيضاً، كما فى نطقه فالله ونطقه وروحه، بتعبير كلامي للخاصة، هو بتعبير شعبي للعامة:الآب والابن والروح القدس. فلا تقول المسيحية إن عيسى وأمه إلهان من دون الله؛ لا دخل للعذراء مريم فى ذات الله على الإطلاق؛ هذا كفر محض لا يليق بعقل الإنسان. إنما الله ونطقه الذاتي وروحه الذاتي ثالوث فى وحدة الجوهر الإلهي الفرد. وهذا التثليث بحسب الإنجيل إنما هو تفسير مُنزل لحياة الحي القيوم فى ذاتة الصمدانية فلا مجال للسؤال عن مناقضة الثالوث للواحدانية. فهو تثليث لا يقوم إلا على التوحيد. والحقيقة إن كلمة ثالوث أستخدمت فى المسيحية فقط فى القرن الثالث لصياغة العقيدة المبنية على الإنجيل، ولا يوجد أى ثالوث أخر، بل هى ثلاثيات تتكون من ثلاثة آلهة وثنية منفصلة غير متزامنة وغير متساوية فى الدرجة مثل إيزيس وأوزوريس وأبنهما حورس، و من المعروف أنها آلهة وثنية قديمة.

الفصل الثالث

كيف يتواصل الله مع البشر؟

(التجسُّد – Incarnation)

(Anthropomorphism –Theophany)

منذ البداية يقول الكتاب قوله: "وسمعا آدم وحواء صوت الرب الإله ماشياً عند هبوب ريح النهار ... فنادى الرب الإله آدم وقال له: "أين أنت"؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت" (تكوين8: 3–10). فهنا نرى ظهور الله وهو يمشى ويتكّلم ، ويختبئ آدم من وجهه. ويقول عن ذبيحة نوح: " فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض" (تكوين 8 : 21).

وهنا يظهر الرب وله حاسة الشم يتنَسّم بها رائحة الذبيحة، وله قلب يفكر فيه، لإعادة النظر في موقفه من الأرض.

أيضاً قوله: "وظهر الرب (لإبراهيم) عند بلوطات مَمرا، وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار . فرفع عينيه وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر، ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد وقال: يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك" (تكوين 18 : 1– 5).

أما قوله إنه ظهر ليعقوب .. "فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل، قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه! ونٌجيّت نفسي" (تكوين32: 22–30). وهذا نوع من الظهور الألهي (Theophany).

وأيضاً قوله: "ثم صعد موسى وهارون وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق ... ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل" (خروج 24 : 9).

هنا كان ظهور الله بصورة إنسان له يدان ورجلان، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف الشعب لأنهم كانوا أثمة وفى حاجة إلى مُصالِح له طبيعة الله وطبيعة الإنسان ... (طلب أيوب مَن يصالح الإنسان مع الله – مثل الملك المتنازل يقدر أن يأخذ بيد العبد، وليس العكس).

أما موسى في الكتاب المقدس، فقد وردت قصته هكذا: " وظهر له (أي لموسى) ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتقد بالنار والعليقة لم تحترق ... فلما مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة ... وقال له: لا تقترب إلى ههنا اخلع حذاءك من رجليك ، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة" (خروج 3 : 2– 5).

وقد وردت قصة موسى هكذا: "فلما جاءها نُودى أنْ بُورك منْ في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين. يا موسى إنَّهُ أنَا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ" **(النمل 27: 8،9).**

جاء في (القصص28: 29،30) "فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً، قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين".

ووردت القصة عينها في (طه20: 9−13) "وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً، فقال لأهله امكثوا إني آنست نارًا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يُوحى".

وقد فسرَّ الإمام فخر الدين الرازى القصة هكذا: "استأذن موسى عليه السلام شعيباً في الرجوع إلى والدته فأذن له، فخرج فوُلد له ابناً في الطريق في ليلة شاتية، وكانت ليلة جمعة، وقد حاد عن الطريق، فقدح موسى عليه السلام النار، فلم ترد المقدحة شيئاً، فبينما هو في مزاولة ذلك، إذ نظر ناراً من بعيد عن يسار الطريق، قال السدى: ظن أنها ناراً من نيران الرعاة، وقال محدثون آخرون إنه عليه السلام رآها في شجرة، فلما أبصر توجه نحوها، فقال لأهله امكثوا إني أبصرت ناراً، لعلى آتيكم منها برأس عود أو فتيلة، فلما أتاها، (قال ابن عباس): رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كأنها نار بيضاء، فتوقف متعجباً من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة، فلا النار تغّير خضرتها، ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار، فسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيما... فلما رأى موسى ذلك، وضع يده على عينيه فنودى: يا موسى إني ربك فقال: لبيك: إني أسمع صوتك ولا أراك، فأين أنت؟ فقال: إني معك وأمامك وخلفك ومحيط بك وأقرب إليك من حبل الوريد. فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس (التفسير الكبير للرازى 22 : 15.14).

وإن كان الله لكي يكلم موسى ويحمّله رسالته إلى البشر، استحسن أن يحل في شجرة ويظهر في هيئة نار، أفلا يكون من التجني أن يُنعت القائلون بالتجسد، لأنهم يؤمنون بأن الله لكي يّعلن ذاته في المحبة، ظهر في يسوع المسيح؟! وهل الشجرة التي بدا الله فيها، أعظم شأناً من المسيح ؟

والآن أعود لكي أقول إن كان يسوع وهو في الجسد قد أكل وشرب وتغّوط، فإن هذا لا يُري ملء اللاهوت، الذي حل فيه جسدياً. بل بصفة كإنسان بدليل قول الكتاب المقدس: "إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيُ نجساً بذاته إلا منْ يحسب شيئاً نجساً فله هو نجسُ" (رومية14 : 14)، وشكراً للمسيح لأنه لم يحسب شيئاً نجساً.

إن المتأمل بعمق في الكتابات المقدسة، لابد أن يلاحظ، أن الطريقة التي اعتمدها الله لإعلان ذاته، وتبليغ مقاصده، هي نوع من الظهور والتجسُّد. لا فرق في أن يكون هذا الظهور والتجسّد في السحاب، أو في النار، أو في (جسد) ملاك العهد، أو في جسد المسيح، الذي ظهر فيه مملوءاً نعمة وحقاً.

نقرأ في الرسالة إلى (العبرانيين1: 1) هذه العبارات، التي تُعتبر المفتاح في الكلام عن اتصالات الله بالبشر: "الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا نحن في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيُ الذي به أيضاً عمل العالمين". وقد رأينا بعض أنواع الظهورات والطرق التي كلم بها البشر كما وردت في الكتاب المقدس.

والمعترضون لا ينكرون اتصال الله مع مخلوقاته، وضمن الزمان والمكان. ويؤمن أن الله بعث بالرسل إلى الناس. وهذا معناه إقامة صلة مع مخلوقاته، كما فى القول: "إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً" **(المزمل73: 16،15).**

والأكثر من هذا تُحَرّيض الإنسان على إقامة صلة مع الله خالقه، وأن الله يُحب هذا: "فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين" (آل عمران3:159).

قد تقول إن هذه التعبيرات الكلامية هي من قبيل المجاز، وأن هذا اجتهاد على النص ولا يمكنه أن يثبت أمام الحقيقة. لأن حوادث كثيرة من هذا النوع، ذُكرت فيها أسماء أشخاص قاموا بأعمال، بناء على أمر الله كما في القول: "لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، قال الملأ من قومه: إنا لنراك في ضلال مبين، قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي وأصلح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون، أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم تُرحمون" (الأعراف7: 59-63). فهذه الآيات لا يمكن أخذها مأخذ المجاز لأن فيها إشارة إلى حوادث معينة. وماذا تقول عن الحديث النبوي الخاص بالصلوات التي فُرضت على المسلمين، فقد حدَّث ابن إسحاق عن ابن مسعود عن الرسول، أنه قال في قصته عن ليلة الإسراء والمعراج: "إن جبريل انتهى بي إلى ربي ففرض عليَّ خمسين صلاة كل يوم، ثم انصرفت فمررت على موسى فقال إن الصلاة ثقيلة وإن أُمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أُمتك، فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أُمتي فوضع عني عشراً. ثم انصرفت فمررت على موسى، فقال لي مثل ذلك، فرجعت فسألت ربي، فوضع عني عشراً، ثم انصرفت فمررت على موسى، فقال لي: ذلك فرجعت فسألته، فوضع عني عشراً، ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك، كلما رجعت إليه قائلاً: ارجع فاسأل ربك، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة، ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعت ربي وسألته حتى استحييت منه، فما أنا بفاعل، فمنْ أدَّاهُنَّ إيماناً منكم بهنَّ واحتساباً لهنَّ كان له أجر خمسين صلاة"(السيرة لابن هشام جـ 3: 276).

فهذا الحديث أضعه أمامك، لتقرر على ضوئه إن كان لله صلات مع مخلوقاته، وإن كان لهذه المخلوقات علاقة بالله، واستطراداً أقول لك بمحبة:

إن كنت تتمسك بعقيدة التنزيه المُطلق (أو عدم التفكير المطلق في شخص الله)، تكون قد آمنت بإله لا تعرف عنه شيئاً، وبالتالي أنت منفصل عنه، وفي هذه الحالة تكون ضمناً قد أنكرت النبّوة. لأن النبي لا يصلح أن يكون نبياً إن لم يُوحَ إليه وُيرسل، وبذلك يقيم صلة بين الله والمخلوق.

جاء في الحديث عن نبي الإسلام، أنه قال: "إن المؤمنين حين يتشفعون ربهم يوم القيامة يأتون إليَّ فانطلق فاستأذن على ربى <u>فى داره</u> فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً" (البخارى جـ 4 : 7002 * بحسب تقسيم د./ مصطفى الديب البغا). ومن هنا ينطلق سؤال: كيف يُتهم المسيحي بالكُفر عندما يقول إن الله ظهر في الجسد ولا يُتهم الذي يقول إن الله تحتويه دار؟!

جاء في (البقرة 2: 115) "فأينما تولّوا فثّم وجه الله"، و(الرحمن55: 26-27) "كل منْ عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام".

وأيضاً في قوله: إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً، وجاء في (الحديد 57 : 29) "إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"، وجاء في (الفتح48: 10) "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم"، وجاء في (الملك67: 2) "تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيْ قدير"، وجاء في (هود11: 37) قوله لنوح: "واصنع الفلك بأعيننا ووحينا"، وجاء في (الطور52: 48)، "وأصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا"، وجاء في (طه20 : 38)، قوله لموسى: "إذ أوحينا إلى أمك ما يُوحى أن اقذفيه في التابوت".

وجاء في الحديث عن أبى هريرة عن النبي أنه قال: "خلق الله الخلق، فلما قامت الرحم فأخذت في حقو الرحمن"، (البخارى3: 114)، فهذه النصوص،

تقول إن لله وجهاً ويداً وعيناً وحقواً وهى من أعضاء جسد الإنسان، فإن كان تجسُد الله يُحسب كُفْراً فكيف تفسرِّ هذه الآيات؟! فهنـاك اتفـاق علـى خلـع الصفات والأعمال البشرية على الله وهو ما يسمى "Anthropomorphism".

وجاء في الحديث: "إنه تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الأخير يقول: من يدعوني فاستجيب له... ومن يستغفرني ..." (البخارى جـ 4: 101، باب صلاة نصف الليل)، فما هذا النزول كل ليلة إلى السماء الدنيا عند ثلث الليل الأخير؟ فهل يتحدد الله بالنزول في زمان ومكان؟ وهل يفرق هذا عن نزوله من سماء المجد إلى بيت لحم متجسّداً؟

في اعتقادي أن التنزيه المطلق، الذي يقول بانفصال الله عن الكائنات (على أن المادة شر) يجعله تعالى إلهاً منعزلاً، وبالتالي يُفضي إلى التعطيل في الأمور الروحية، لأن الإنسان لا يمكن توبته وتجديده في معزل عن الله، وقد عُرف بالاختبار أن كل مجهودات الإنسان الذاتية لرفع نفسه من حالة الخطية إلى حالة البر، لا تجديه نفعاً إن لم تكن له صلة بالله، قال المسيح في عظته على الجبل: "ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحداً" (متى 6 : 27). وبالنتيجة، نرى أن التنزيه المطلق هو الذي أعاق الكثيرين عن قبول فكرة التجسُّد، وبذلك حرموا أنفسهم من فوائد الفداء!

إلا أن هؤلاء في رفضهم تعليم التجسُّد يقدّمون اعتراضات، منها:

يقولون: كيف يحل الله القدُّوس في بطن امرأة؟ وكيف يحل في جسد بشرى يجوع ويأكل، ويعطش ويشرب، ويبول ويتغوّط ؟! (فالارتباط بالمادة شر).

لعل القائلين بهذا لم يفهموا قول ملاك الله: إن الذي حُبل به في مريم هو من الروح القدس، فإن كان الله أقدس من أن يلمس دم امرأة، فكيف يؤمنون أن الله أخذ ضلعاً من آدم وصنع منه امرأة؟

وجاء في (الحجر 15 : 28): "إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون"* وقد فسر الجلالان الحمأ المسنون بالطين الأسود، تعتقد بأن الله خلق الإنسان الأول من صلصال كالفخار (الرحمن55: 14)، وهذا يعنى أن الله قد وقف عند حد الزمان والمكان، لأنه أمسك بيده طيناً من بقعة محدودة وكوَّن الإنسان منه في زمان محدد، فإن قلت إن وقوفه عند زمان ومكان محدودين، لا يجعله محدوداً لأنه قادر على كل شيء، قلت لك: وكذلك تجسّده في زمان معين لا يجعله محدوداً، لأنه قادر على كل شيء، هكذا قال المسيح "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله" (لوقا18:27). فإن كان الطين الأسود لم يحط لمسه من قدر الله ولم يدنسه، فكم بالأحرى بعد أن سوّى منه الإنسان وجعله تاجاً لمخلوقاته، لا يأنف أن يحل فيه؟ شكراً لله لأجل كلمته: "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (1كورنثوس3:16).

واعتراض آخر: يقولون إن تجسُّد الله يُحتم عليه تغييراً في جوهره الإلهي في زمان ومكان معين، كأنهم يقيسون الله بمقاييس العقول القاصرة، وبالتالي ينسبون وبطريق غير مباشر العجز لله وعدم قدرته على التجسُّد والظهور دون حدوث تغيير في جوهره، والحق أن التجسُّد لا يحتم حدوث تغيير في الطبيعة الإلهية، ودليلنا على ذلك أن الكلمة، لما اتحد بالطبيعة البشرية لم يفقدْ ألوهيته، بل بقى ذلك الرب القدير، الذي يقيم الأموات ويشفي الأكمه والأبرص، ويغفر الخطايا وينتهر العواصف والأمواج فتهدأ.

وقد أخبرنا الإنجيل أنه ظهر في الجسد، وبطريقة غير اعتيادية، لأنه هو خالق الأجساد والطبائع، فهل يصعب عليه الاتحاد بها إن أراد ذلك؟ وكل اعتقاد يخالف هذه الحقيقة، هو بمثابة إقرار بأن خالق الأجساد والطبائع، ليس هو الله بل أحد غيره! ومن المعروف بالاختبار أن الإنسان الحكيم العاقل يقدر أن يوّفِق نفسه مع البيئة والظروف التي يعيش فيها، فكم بالأحرى الله الحكيم

جداً والقادر على كل شيّ، يقدر أن يتجسٌّد دون أن يعتريه تغيير أو تبديل في جوهره؟

لاحظ أن الشمس ترسل أشعتها ودفئها إلى الأرض وتتحد بالكائنات وتُكسِبها حياة دون أن يعتري الشمس تغيير ظاهري في تركيبها، فهل يٌعقل أن يكون للشمس قوة الاتحاد مع العناصر الأخرى وأن تفعل فيها، دون أن يطرأ عليها تغيير ظاهري، ولا تكون هذه القوة لله خالق الشمس وخالق العناصر؟! وإن كان الله القدوس الطاهر لا يرى ضيراً أن يسكن بروحه في المؤمن فكم بالأحرى أن يسكن في جسد الكلمة الذي لم يعرف خطية، ولم يولد من زرع بشر؟!

تجسد كلمة الله

عندما شرعت في مراجعة كتاب "تجسد الكلمة" لأثناسيوس الرسولي لم أكن أتوقع كل هذه الكنوز اللاهوتية، فقد لُقَّب أثناسيوس الرسولي بحق أنه "حامى الإيمان"، ولعل أهم ما يقوله عن المسيح يتلخص فيما يلي:

"هذا هو الذي صُلب أمام الشمس وكل الخليقة كشهود، وأمام من أسلموه إلى الموت. وبموته صار الخلاص للجميع، والفداء لكل الخليقة. هو حياة الجميع، الذي سلم جسده إلى الموت نيابة عن الجميع، ولأجل الجميع، ولو لم يؤمن اليهود بذلك" (فصل37: 7)، فليس بأحد غيره الخلاص.

أما ما يقوله أثناسيوس لليونانيين، فأهمه هو قوله: إن "فلاسفة اليونانيين (وخاصة أفلاطون) يقولون إن الكون جسم (أو جسد) هائل، وهذا حق لأننا نراه، ونرى أجزاءه واقعة تحت حواسنا. فإن كان كلمة الله في الكون الذي هو جسم، وإن كان قد اِتّحد بكل الكون وبكل أجزائه، فما هو وجه الغرابة أو السخف إن قلنا إنه اِتّحد بالإنسان أيضاً ؟" (فصل 41: 5)، ويضيف كذلك:

"إنه لو كان حلوله في جسد أمراً سخيفاً وغير معقول، لكان أمراً سخيفاً أيضاً أن يتّحد بكل الكون، ويعطى ضياء وحركة لكل الأشياء بعنايته، لأن الكون أيضاً جسد. أما إن كان قد لاق به أن يتحّد بالكون، وأن يُعرف في الكل، وجب أن يليق به أيضاً أن يظهر في جسد بشري، وأن يستضئ به ذلك الجسد ويعمل، لأن البشرية جزء من الكل كسائر الأجزاء. ولو كان أمراً غير لائق أن يتّخذ جزءاً كأداة يُعلن للبشر بها عن لاهوته، لكان أمراً في غاية السخف أن يُعرف بواسطة كل الكون أيضاً" (فصل41: 6-7).

المسيح كلمة الله الحيّ، باسمه تخرج الشياطين. "وإن كانت الشياطين تعترف به، وأعماله تشهد له يوماً فيوماً، فقد اتضح جلياً - ويجب أن لا يتصلف (يغلق ذهنه بتكبر) أحد نحو الحق - أن المخلص أقام جسده، وأنه هو ابن الله الحقيقي المولود منه. وأنه هو كلمته وحكمته وقوته، الذي في الأزمنة الأخيرة اِتّخذ جسّداً لخلاص الجميع، وعلّم العالم عن الله (الآب)، وأبطل الموت ووهب الكل عدم الفساد بموعد القيامة إذ أقام جسده كباكورة لذلك، وأظهره بعلامة الصليب كعلامة للظفر على الموت وفساده" (فصل32: 6). "فلقد بسط المسيح يده على الصليب، الذي وهو روح لا جسد له ظهر في الجسد (اِتخذ جسداً) من أجلنا وتألم عن الجميع" (فصل 38: 2)، فليس اسم آخر تحت السماء به ينبغي أن نخلص، فهو الذي أنار الحياة وفتح باب الخلود لمن يؤمن به.

تسافر كلمة الإنسان المحدود آلاف الأميال، وتظل في عقله في نفس الوقت (دون انفصال). فما بالك بكلمة الله الغير محدود!

فيمكن للإنسان أن يرى الشمس بطريقة غير مباشرة، ولكنه يمكن أن ينظر إليها مباشرة ويحملق إذا نظر من خلال زجاج نظارة قاتمة تحجب رؤية الشمس المباشرة، وإذا كان الله نور لا ُيدنى منه، ومن يراه لا يعيش!

فالله اختار طوعاً أن يخفف لنا صورة نفسه من خلال التجسد، أخلى نفسه (فيلبى 2 : 7، 8)، فالتجسد هو الحاجز الذي خفف صورة الله الغير منظور (كولوسى 1 : 15) فأمكن للبشر أن يروه. "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد" (1تيموثاوس 3: 16).

لماذا تفرّد المسيح بأنه كلمة الله الأزلي المتجسّد؟!

لم يكن ممكناً أن يتأله الإنسان ليتصل بالله. فالله بنفسهِ اِختار طوعاً أن يتجسّد. الله الكلمة اِتخذ جسداً! ففي المسيح حل كل ملء اللاهوت جسدياً. الله نور لا يُدْنى منه، والمسيح هو صورة الله غير المنظور. الله محبة، والمسيح هو تجسّيد محبة الله لكل البشر وقد أظهر الله محبته في الصليب، فتم الفداء، وفتحت أبواب الخلود لمن يقبل عمل الله في المسيح لأجل خلاص نفسه.

يلخص الدكتور القس منيس عبد النور الموضوع بقوله:

المسيح هو الكائن، والذي كان ، والذي يأتي:

إعلان المسيح لعبده يوحنا: "أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن، والذي يأتي، القادر على كل شيء" (رؤيا1 : 1، 8). المسيح من قبل الزمان والمكان بميلاده دخل حدود الزمان والمكان، كما نوضح ذلك كما يلى:

مرحلة المجد ↓ **أثناء التجسَّد** (يوحنا 17: 4) ↑ **الرجوع للمجد** (فى السماويات)

منْ هو المسيح ؟

– قبل أن نجاوب، نسأل عن أية مرحلة من حياته تسأل ؟ قبل ميلاده ؟ أم أثناء حياته على الأرض؟ أم بعد صعوده؟

– لو قلت إن يسوع المسيح هو الله لقلت حقاً، ولكنه ليس كل الحق، لو قلت إنه إنسان لقلت حقاً، ولكنه ليس كل الحق (1تيموثاوس3 : 16)، (فيلبى2: 5–11). لذا كفر الذين قالوا: "إن الله هو المسيح"، لأن هذا يستبعد الآب والروح القدس من الألوهية.

في مرقس 4: 35– 41 نرى المسيح الإنسان نائماً في قارب، ثم نراه "الله الذي يُسكِت الرياح بكلمة". لا يقدر الإنسان أن يصير إلهاً، ولكن الله يقدر أن يصير إنساناً، تجسُّد المسيح عمل من أعمال السيادة، أراد ففعل. مَثَلٌ من أستاذ جامعي، يلبس ثياب العمال، لوقت محدّد، ليؤدى خدمة معينة، يعود بعد أدائها إلى عمله الأصلي.

أعلن المسيح أنه الله: (مرقس 14 : 61– 64)

(أ) قال إنه ابن المبارك.

(ب) وإنه سيجلس عن يمين القوة.

(ج) وسيأتي في سحاب السماء.

قال القديس أغسطينوس إن أمامنا 3 احتمالات:

المسيح كاذب يخدعنا. أو مجنون يخدع نفسه. أو أنه صادق.

يتضح صدق المسيح من أنه ساند كل ما أعلنه بما فعله، عمله أسند قوله.

أطعم 5000، وقال إنه خبز الحياة (يوحنا 6 : 35).

قال إنه نور العالم، وفتح عيني الأكمه (يوحنا 9: 8–12).

قال إنه القيامة والحياة ثم أقام لعازر (يوحنا 11 : 25–27، 43–44).

(مزمور7 : 2) "أنت ابني، أنا اليوم ولدتُك" فهو الابن الذي وُلِدَ، بنوته لله سابقة لميلاده، المسيح مولود غير مخلوق. والمسيح موجود من قبل ميلاده من العذراء (النساء 4 : 171) هو كلمة الله "ألقاها إلى مريم" كان موجوداً، فألقاها.

اعتراضات على ألوهية المسيح:

(مريم 35: 19، 88–93) لم يتخذ الرحمن ولداً، فالمسيح كلمة الله قبل كل الدهور، ليس المسيح (ولد الله) بل ابن الله.

البنوية علاقة روحية كانبثاق الكلمة من العقل، والنور من الشمس (الأنعام 6 : 101)، لم تكن لله صاحبة، فالله روح.

المسيح يملك لنا الضر لو رفضنا الإيمان به، ويملك لنا النفع لو آمنا به فيغفر لنا ويستجيب صلواتنا ... إلخ (لوقا 9 : 25).

المسيحية هى المسيح :

ليست المسيحية مجموعة عقائد وفرائض ، بل هي سكنى المسيح في القلب "لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح" (فيلبي1:21).

منْ هو المسيح الحقيقي؟

لقد دخل المسيح أرضنا بطريقة إعجازية، وارتفع منها حياً إلى السماء بعد أن قدم نفسه فدية وكفارة. والمسيح أعطى البُعد والعمق الروحي لنفس الوصايا التي في الشريعة الإلهية، فتحقق فيه الناموس وأكمله روحياً. فاستطاع أن يتحدى اليهود قائلاً: "منْ منكم يبكتني على خطية"، ... وأضاف أنه قبل إبراهيم كان كائناً معادلاً نفسه بالله (يوحنا 8: 46–58)!

تحققت كل نبواته تماماً: عن صلبه وقيامته في اليوم الثالث وحلول الروح القدس وتأسيس الكنيسة، وخراب أورشليم، وأكثر من 300 نبوة وإشارة من نبوات العهد القديم تحققت فيه، فقال: "لم آتِ لأنقض بل لأكمِّل"، فقد أكمل الوصايا بإعطائها البعد والعمق الروحي، وقد علَّم بسلطان وليس كالكتبة، فهو الحق المطلق (راجع متى 5–7)، وبتقديم نفسه فدية أكمل كل شيء. لذلك قال قد أكمل العمل الكفاري، فصالحنا مع الآب السماوي.

والمسيح يملك لنا الضر لو رفضنا الإيمان به، ويملك لنا النفع لو آمنا به فيغفر لنا ويستجيب الصلاة ...إلخ (لوقا 9 : 25). فقد غفرَ الخطايا للمفلوج أولاً، ثم شفاه، فلو كان مخادعاً كيف أمكنه ذلك؟! ومعروف أن الغافر هو الله!

إعلانات حواريه ورسوله عنه في الإنجيل تنساب في سهولة ويُسر تظهر الحقيقة، فهو إله وإنسان في ذات الوقت، فهو الله الذي تجسّد (وليس إنساناً تألّه). له كل ما للإنسان العادي لكنه في حياته كان إنساناً كاملاً، مع أنه جاع وعطش وبكى وتألم بل تجرّب، لكنه بلا خطية فهو كامل. وليس كاملاً إلا الله، وقد أجرى معجزات وأمور لا تخص إلا الله (قد شَهد التاريخ بذلك).

فيمكن أن نتساءل: ماذا يحدث لو دخل الله عالمنـــا؟ ... أيــدخل العالم بطريقة عادية؟! ... أيكون بلا خطية؟! وهل يَغفــر الخطايــا ويُجري معجزات عظيمة، ويكون متفرداً في كل شيء؟! وهل يقــول أعظم ما يقال؟ كما في الموعظة (متى 5–7)، ويكون تأثيره قويــاً شاملاً دائماً، ويكون له سلطان علي الموت... إلخ

منْ هو المسيح الحقيقي؟

هذا السؤال أهم سؤال يواجهك طوال حياتك فالإجابة عليه هــي مسألة حياة أو موت. فالمــسيح أعلن بل جــسد لنــا محبــة الآب السماوي. فالتجسد وضح لنا طبيعة الله أو من هو الله. فهو يعلــن للإنسان أنه يحبه محبة فردية شــخصية.

ومن فرط محبته يرتضي أن يقيم علاقة روحية مــع الإنــسان، فيشبع أعمق وأعظم احتياج لديه. فمحبته عــميقة غــامرة تعطــي الأمان والســعادة الحقيقية وسلام الله الذي يفوق كل عقل.

وهذه العلاقة الروحــية الفريدة هي ما عبّر عنه الإنــجيل بحسب البــشير (يوحنا 12:1) بقوله: "أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يــصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه". ويستطيع الإنسان أن يستمتع بهذه الــعلاقة إن فــتح قلبــه (بإرادتــه) لعمــل روح الله القدوس.

ومنْ يصبح ابناً روحياً يضمن غفران خطاياه ليس لصلاحِه بــل لصلاح الله، فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم إنْ اعترفنا بخطايانا واحتمينا بكفارة المسيح، فلقد أحبنا المسيح إلى المنتهى فقدم نفسه فدية وكفارة مقبولةً لــدى الآب الــسـماوي فصالحنا معه (2كورنثوس 5: 17)، لذا نــضمن غفران خطايانا.

ومن يضمن غــفران خــطاياه يتغير قلبه وتتغير طــبيعته، وهو ما يسمى بالولادة الــجديدة، فهي طبيعة ســماوية يهبها الله فيصبح الإنسان حساساً لأي خطأ (فالثوب الأبيض يتضح عليــه أي غبــار)، وبهذه الطبيعة الــجديدة يهب الله الإنــسان القــوة ليعــيش حيــاة روحــية ساميةً، وروح قدس الله يبكته على الخطية، ويدفعه لعمــل الــبرّ والصلاح بــقوة روحــية تفوق قوة الإنسان العادي (عنــدما يحاول مقاومة الشر بمجهوداته الشخصية)، فمحاولتنا البشرية تبــوء بالفشل دائماً ونحتاج مبادرة إلهية تمنحنا برِّ المسيح (رومية 6–8).

إن محاولات الإنسان تفشل ولا يستطيع تحقيق هذه العلاقة الروحية بمحولاته وأعماله الصالحة وهذا ما واجه بــه المــــسيح اليهــود (لــوقا 17: 9)، فإذا ظل الإنسان عبداً مهما عمل صــــالحاً، فلــن يستطيع إرضاء الله، فهو يــحتاج لعلاقة روحــية تربطه بالله، وهى البنوة الروحــية التي تفتح للإنسان طريــق التواصــل الروحــــي الحقيقي مع الله، لا كمجرد عبــد لله بل في صلة روحــية وثيقة بالله (يوحنا 1: 12).

لقد صرخ أيــوب طالباً مــنْ يــصالح الإنسان مــع الله، وهــى حاجة الإنسان الروحية العميقة عبر الزمان. هل لُقِّــب أي شــخص

آخر بأنه رحمة من الله ؟ لقد تحققت في المسيح مصالحتنا مع الآب السماوي (2كورونثوس 5: 17)، فصالح العدل مع الرحمة (مزمور85: 10). هذا هو ما جاء المسيح لأجله، قد جاء ليهب لنا ليس حياة فحسب بل ما هو أفضل (يوحنا 10: 10).

وإذا نال الإنسان هذه الحياة الروحية يضمن السعادة الحقيقية والسلام الداخلي، ليس في هذه الحياة فقط بل ويضمن دخول ملكوت السموات في نهاية حياته، فهل يمكن أن يحتاج أي إنسان المزيد؟! وهل من مزيد على هذه القمة والشبع الروحي!

المسيحية هي المسيح: ليست المسيحية مجموعة عقائد وفرائض، بل هي سكنى المسيح في القلب، فنقول مع الرسول بولس: "لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح" (فيلبي1:21). فالإيمان العقلي بالعقائد المسيحية لا يجعل الإنسان مسيحياً حقيقياً. فمنْ هو المسيح بالنسبة لك؟! وهل أنت تابع حقيقي للمسيح؟! التابع الحقيقي للمسيح أي المسيحي الحقيقي هو الذي يختبر المسيح اختباراً قلبياً حقيقياً.

مراجع

1) د.عبد الفادى، "شخصية المسيح"، طبعة مزيدة منقحة للمؤلف1989
2) إسكندر الجديد "هل ظهر الله فى الجسد؟"، ط. منقحة للمؤلف 1989
3) يوسف درة الحداد، "تطور طرق الدعوة" و"الحوار الإسلامي المسيحي"، المكتبة البولسيه بيروت.
4) الأنبا أرسانيوس (أسقف المنيا)، "المسيح في القرآن" محاضرة ألقيت فى مجلس كنائس الشرق الأوسط فى نوفمبر 2002.
5) عباس محمود العقاد، "عبقرية المسيح".
6) عبد الوهاب النجار، "قصص الأنبياء".
7) تفسير ابن كثير (بالإضافة "للسيرة النبوية").
8) تفسير الطبري.
9) التفسير الكبير للإمام الرازي.
10) تفسير الكشّاف للزمخشري.
11) تفسير الجلالين.
12) تفسير البيضاوي.
13) "معجم ألفاظ القرآن"، محمد عبد الباقي.
14) "مفردات ألفاظ القرآن"، الراغب الأصفهاني.
15) قاموس "المصباح المنير، ومختار الصحاح، ومحيط المحيط".
16) صحيح البخاري (تقسيم د. مصطفى ديب البغا).
17) صحيح مسلم.
18) الأحاديث الصحيحة، "مشكاة المصابيح".
19) الثعلبي، "عرائس المجالس".
20) خليل عبد الكريم، "الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية".
21) د. سان كلير تِسدَل، " تنوير الأفهام في مصادر الإسلام".
22) المحامي فرانك موريسون، "منْ دحرج الحجر؟"
23) هيرمان بافينك، "بين العقل والإيمان" (ترجمة د. القس عبد المسيح اسطفانوس).
24) الإمام الغزالي، "الرد الجميل".
25) الإمام محمد أبو زهرة، "محاضرات في النصرانية".
26) "الكفن المقدس"، أيبارشية المنيا وأبو قرقاص للأقباط الأرثوذُكس.
27) "التلمود"، فصل السنهدرين ص 43 لسنة 1943- طبعة أمستردام.
28) د. ق. منيس عبد النور، "مذاكرات الدفاع عن الإيمان" كلية الاهوت الإنجيلية، بالقاهرة.
29) د. داود رياض، "مذاكرات الدفاع عن الإيمان" كلية الآهوت الإنجيلية، بالقاهرة.
30) د. داود رياض، رسالة دكتوراه "كفارة المسيح" (Ph D/ ICS).

الخلاصة: منْ هو المسيح؟ (القديمة)

لقد دخل المسيح أرضنا بطريقه إعجازية، وارتفع منها حياً إلى السماء بعد أن قدم نفسه فدية وكفارة.

المسيح أعطى البـُعد والعمق الروحي لنفس الوصايا التي في الشريعة الإلهية، فتحقق فيه الناموس وأكمله روحياً. فاستطاع أن يتحدى اليهود قائلاً: "منْ منكم يبكتنى على خطية" (يوحنا 8: 46).

تحققت كل نبواته تماماً: عن صلبه وقيامته في اليوم الثالث وحلول الروح القدس وتأسيس الكنيسة، وخراب أورشليم، وأكثر من 300 نبوة واشارة من نبوات العهد القديم تحققت فيه، فقال: "لم آتِ لأنقض بل لأكّمل"، فقد اكمل الوصايا بإعطاء البعد والعمق الروحي لنفس الوصايا (راجع متي 5-7) وبتقديم نفسه ذبيحة كاملة أكمل كل شئ. لذلك قال قد أكمل العمل الكفاري، فصالحنا مع الآب السماوي.

إعلانات حواريه ورسوله عنه في الإنجيل تنساب فى سهولة ويُسر تظهر الحقيقة، فهو إله وإنسان في ذات الوقت، فهو الله الذي تجسّد (وليس العكس). له كل ما للإنسان العادي لكنه في حياته كان إنساناً كاملا، فجاع وعطش وبكي وتألم بل تجرّب، لكنه بلا خطية. وليس كاملاً إلا الله (بالإضافة لشهادة التاريخ).

فيمكن أن نتسأل: ماذا يحدث لو تجسد كلمة الله؟ ... يدخل العالم بطريقة غير إعجازية ... يكون بلا خطية ... يُجرى معجزات عظيمة ويكون متفرداً في كل شئ ... يقول أعظم ما يقال (متى 5-7) ... تأثيره شاملاً دائماً ... يكون له سلطان علي الموت... إلخ

منْ هو المسيح؟

هذا السؤال أهم سؤال يواجهك طوال حياتك فالإجابة عليه هى مسألة حياة أو موت. فالمسيح أعلن بل جسد لنا محبة الآب السماوى. فهو يعلن للأنسان أنه يحبه محبة فردية شخصية.

ومن فرط محبة يرتضي أن يقيم علاقة زوجية معه، فيشبع أعمق وأعظم احتياج لدى الإنسان. فمحبته عميقة غامرة تعطي الأمان والسعادة الحقيقية وسلام الله الذى يفوق كل عقل.

وهذه العلاقة الروحية الفريدة هىي ما عبر عنه الإنجيل بحسب البشير يوحنا 12:1 بقوله: "اما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطانا ان يصيروا اولاد الله اي المؤمنون باسمه". وبستطيع الإنسان أن يستمتع بهذه العلاقة إن فتح قلبه (بإرادته) لعمل روح الله القدوس.

ومنْ يصبح أبناً روحياً يضمن غفران خطاياه ليس لصلاحه بل لصلاح الله، فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم إنْ احتمينا بكفارة المسيح، فلقد أحبنا المسيح إلى المنتهى فقدم نفسه فدية وكفارة مقبولةً لدى الآب السماوي فصالحنا معه (2كورنثوس 5: 17)، لذا نضمن غفران خطايانا.

ومن يضمن غفران خطاياه يتغير قلبه وتتغير طبيعته، وهو ما يسمى بالولادة الجديدة، فهى طبيعة سماوية يهبها الله فيصبح الإنسان حساساً لاى

خطأ (فسوب أبيض يتضح عليه اى غبار)، وبهذه الطبيعة الجديدة يهب الله الإنسان القوة ليعيش حياة روحية ثانياً، وروح قدس الله يبكته على الخطية، ويدفعه لعمل البر و الصلاح بقوة روحية تفوق قوة الإنسان العادى عندما يحاول مقاومة الشر بمجهوداته الشخصية، فمحاولتنا البشرية تبؤ بالفشل دائماً ونحتاج مبادرة إلهية تمنحنا برّ المسيح (رومية 6-8).

إن محاولات الإنسان تفشل ولا يستطيع تحقيق هذه العلاقة الروحية بمحولاته وأعماله الصالحة وهذا ما واجه به المسيح اليهود (لوقا 17: 9)، فإذا ظل الإنسان عبداً مهما عمل صالحاً، فلن يستطيع إرضاء الله، فو يحتاج لعلاقة روحية تربطه بالله، وهى البنوة الروحبة التي تفتح للإنسان طريق التواصل الروحي الحقيقي مع الله، لا كمجرد عبد لله بل في صلة روحية وثيقة بالله (يوحنا 1: 12).

لقد صرخ أيوب طالباً مصالح يصالح الإنسان مع الله، و هى حاجة الإنسان الروحية العميقة عبر الزمان. هذا هو ماجاء المسيح لأجله، قد جاء ليهب لنا ليس حياة فحسب بل ما هو أفضل (يوحنا 10:10).

وإذا صار الإنسان بهذه الحالة يضمن السعادة والسلام الداخلي ليس فى هذه الحياة فقط بل ودخول ملكوت السموات في نهاية حياته، فهل يمكن ان يضمن أى إنسان المزيد؟! وهل من مزيد على هذه القمه والشبع الروحي!

<u>المسيحية هى المسيح</u>:

ليست المسيحية مجموعة عقائد وفرائض، بل هي سكنى المسيح في القلب "لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح" (فيلبي21:1). فالإيمان العقلي بالعقائد المسيحية لا يجعل الإنسان مسيحياً حقيقياً. فمنْ هو المسيح بالنسبة لك؟!

<u>مراجع</u>

31) د.عبد الفادى "شخصية المسيح"، طبعة مزيدة منقحة للمؤلف1989

32) إسكندر الجديد "هل ظهر الله فى الجسد؟"، ط. منقحة للمؤلف 1989

33) يوسف درة الحداد، "تطور طـرق الـدعوة" و"الحـوار الإسـلامي المسيحي"، المكتبة البولسيه بيروت.

34) الأنبا أرسانيوس (أسقف المنيا)، "المسيح في القـرآن" محاضـرة ألقيت فى مجلس كنائس الشرق الأوسط فى نوفمبر 2002.

35) عباس محمود العقاد "عبقرية المسيح".

36) عبد الوهاب النجار "قصص الأنبياء".

37) تفسير ابن كثير (بالإضافة "للسيرة النبوية").

38) تفسير الطبري.

39) التفسير الكبير للإمام الرازي.

40) تفسير الكشّاف للزمخشري.

41) تفسير الجلالين.

42) تفسير البيضاوي.
43) الثعلبي "عرائس المجالس".
44) "معجم ألفاظ القرآن"، محمد عبد الباقي.
45) "مفردات ألفاظ القرآن"، الراغب الأصفهاني.
46) صحيح البخاري (تقسيم د. مصطفى ديب البغا).
47) صحيح مسلم.
48) الأحاديث الصحيحة "مشكاة المصابيح".
49) قاموس "المصباح المنير، ومختار الصحاح، ومحيط المحيط".
50) خليل عبد الكريم "الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية".
51) د. سان كلير تِسدَل: " تنوير الأفهام في مصادر الإسلام".
52) المحامي فرانك موريسون "منْ دحرج الحجر؟"
53) هيرمان بافينك "بين العقل والإيمان" (ترجمة د. القس عبد المسيح اسطفانوس).
54) الإمام الغزالي "الرد الجميل".
55) الإمام محمد أبو زهرة "محاضرات في النصرانية".
56) "الكفن المقدس" أيبارشية المنيا وأبو قرقاص للأقباط الأرثوذُكس.
57) "التلمود" فصل السنهدرين ص 43 لسنة 1943– طبعة أمستردام.
58) د. ق. منيس عبد النور "مذاكرات الدفاع عن الإيمان" كلية الاهوت الإنجيلية، بالقاهرة.
59) د. داود رياض "مذاكرات الدفاع عن الإيمان" كلية الآهوت الإنجيلية، بالقاهرة.
60) د. داود رياض، رسالة دكتوراه "كفارة المسيح" (Ph D/ ICS).

لماذا تفرّد المسيح بأنه كلمة الله الأزلي المتجسّد؟!
لم يكن ممكناً أن يتأله الإنسان ليتصل بالله.

فالله بنفسهِ اِختار طوعاً أن يتجسّد، الله الكلمة اِتخذ جسداً!
ففي المسيح حل كل ملء اللاهوت جسدياً.
الله نور لا يُدْنى منه، والمسيح هو صورة الله غير المنظور.
الله محبة، والمسيح هو تجسّيد محبة الله لكل البشر
وقد أظهر الله محبته في الصليب، فتم الفداء،
وفتحت أبواب الخلود لمن يقبل عمل الله في المسيح لأجل خلاص نفسه.
إن قبلت عمل الله في المسيح
فأنت تعرف منْ هو المسيح الحقيقي.

إذا كان لديك أسئلة أو تعليقات أرسلها على عنواننا:
7 ش الشيخ ريحان – جاردن سيتي – القاهرة.

7	6	5	4	3	2	1	
15	14	13	12	11	10	9	8
23	22	21	20	19	18	17	16
31	30	29	28	27	26	25	24
39	38	37	36	35	34	33	32
	46	45	44	43	42	41	40
54	53	52	51	50	49	48	47
	61	60	59	58	57	56	55
	68	67	66	65	64	63	62
	75	74	73	72	71	70	69
				80	79	78	76

<u>المسيحية هى المسيح:</u>

ليست المسيحية مجموعة عقائد وفرائض، بل هي سكنى المسيح في القلب "لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح" (فيلبي21:1).

فالفكر المسيحي لا يناقض التوحيد. ولا يمكن تفسيره على أساس (ثلاثة آلهة)، فليست الأقانيم ثلاثة ذوات قائمة بأنفسهـــا، بل هي علامات جوهرية قائمة بالذات الإلهية الواحدة، وهذا ممكن من قوله: "إن حملنا الثلاثة على أنهم يثبتون صفات ثلاثة فهذا لا يمكن إنكاره".

تسافر كلمة الإنسان المحدود آلاف الأميال، وتظل في عقلـــه في نفس الوقت (دون انفصال). فما بالك بكلمـــة الله الـــغـــير محدود!

هل لُقِّب أي شخص آخر بأنه رحمة من الله ؟ لقد تحققت في المسيح مصالحتنا مع الآب السماوى (2كورونثوس 5: 17)، فالصالح العدل مع الرحمة (مزمور85: 10).

الأب: وهو الآب السماوي ليس مجازاً، بل بالحقيقية هو ابن الله.

وهى ليست بنويةً جسدية على الإطلاق، ولا مجرد مجاز، بل بنويةً روحية، أصيلة أزلية أبدية جوهرية تختص بذات الله فقط.

البنوية علاقة روحية كأنبثاق الكلمة من العقل، والنور من الشمس

المسيح يملك لنا الضر لو رفضنا الإيمان به، ويملك لنا النفع لو آمنا به فيغفر لنا ويستجيب صلواتنا ... إلخ (لوقا 9 : 25).

وفى النهاية أقدم مقططفات من محاضرة الأنبا أرسانيوس (ألقيت فى مجلس كنائس الشرق الأوسط فى نوفمبر 2002)، تحت عنوان "السيد المسيح فى القرآن":

يرد خبر السيد المسيح فى 16سورة من بينها ثلاث سور كبار هى: آل عمران، ومريم، والمائدة .

السيد المسيح يفوق فى شخصيته وأعماله الأنبياء بل أن بعض الامتيازات التى ينفرد بها السيد المسيح لا تنسب إطلاقاً إلا لله وحده، والكنيسة فى قانون الإيمان تقول "نؤمن برب <u>واحد</u> يسوع المسيح ابن الله الوحيد".

وعن مكانة أم المسيح:-

- لا يذكر اسم أنثى غيرها.
- وقد خصص سورة (98 آية) باسمها (سورة مريم)
- وهى بحسب القرآن مصطفاة على نساء العالمين ومميزة عنهن.
- وهى وحدها بين النساء التى خاطبها الملائكة وخاطبهم (آل عمران 42-47).

– وهى وحدها المعصومة من مس الشيطان عند الحبل بها حسب نص الحديث "ما من مولد يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل (يصرخ) إلا مريم وأبنها". (صحيح بخارى)

مريم العذراء بحسب الإسلام هى معجزة فى حد ذاتها وفى سيرتها. "وجعلناها وابنها آية للعالمين" (الأنبياء 91).

ويتميز السيد المسيح بأنه استجمع الوحى والتنزيل كله منذ ولادته فيقول السيد المسيح وهو فى المهد "أتانى الكتاب وجعلنى نبياً" (مريم 30)، ومنذ مولده "يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل" (آل عمران 48)، ويتميز المسيح عن جميع الأنبياء بصنع المعجزات الخارقة: وبعض هذه المعجزات يشهد للاهوته " أنى قد جئتكم بأية من ربكم أن أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله. وأبرى الأكمة (الاعمى منذ ولادته) والابرص. وأحيى الموتى بأذن الله. وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين" (آل عمران 49)

المسيح يمتاز بتأيد الروح القدس الشامل المطلق له فى السيرة والرسالة والشخصية كما نرى فى النصوص (البقرة 87 ، 253، المائدة 110).